الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

المصادر الغربية وتاريخ الوطن العربي

موجه الى طلبة السنة أولى ماستر
تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر
السداسي الثاني

من اعداد الدكتور : حوحو رضا

السنة الجامعية : 2025-2026

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا يزال البحث في تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر مجالاً حيوياً يستدعي من الباحث الجمعَ بين أدوات منهجية متنوعة، وإحكام التعامل مع مصادر بالغة التعقيد والتشعب .ومن أبرز هذه المصادر التي لا يمكن إغفالها في أي دراسة تاريخية جادة، تلك الكتابات الأجنبية الغربية التي رصدت أحوال المنطقة العربية ووثّقت أحداثها على امتداد قرون متعاقبة، وإن ظلّت في أغلب الأحيان محكومةً بمنطق الغالب ومنظوره.

وتُعدّ هذه المطبوعة البيداغوجية التي بين أيدينا إسهاماً علمياً يتوجّه إلى طلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر بجامعة محمد خيضر بسكرة، وقد أعدّها الدكتور حوحو رضا استجابةً لحاجة أكاديمية ملحّة، تتمثل في تزويد الطالب الباحث بالأُطر النظرية والتطبيقية الكفيلة بتأهيله للتعامل العلمي الرصين مع المصادر الغربية.

وتتمحور إشكالية هذه المطبوعة حول سؤال جوهري مؤداه :كيف يمكن للباحث في تاريخ الوطن العربي أن يوظّف المصادر الغربية توظيفاً منهجياً سليماً، يُفيد من معطياتها الوثائقية دون أن ينزلق إلى قبول مضامينها الأيديولوجية ومواقفها الاستعمارية المتحيّزة؟

وللإجابة عن هذا السؤال، سارت المطبوعة وفق خطة محكمة تضمّنت ثماني محاضرات متكاملة ومتدرجة، تناولت في مجملها المحاور الآتية:

أولاً :التأصيلَ المفاهيمي للمصادر الغربية وأصنافها وخصائصها، مع استعراض نماذج من أبرز المؤرخين الفرنسيين والروس والبريطانيين الذين اهتموا بكتابة تاريخ العالم العربي.

ثانياً :مبحثَ الاستشراق بوصفه حركةً فكرية ذات أبعاد متشعبة، ودوافع دينية وسياسية واقتصادية تحكم توجهاتها ومخرجاتها.

ثالثاً :الأرشيفات الأجنبية الكبرى) الفرنسية والإسبانية والبرتغالية (ودورها في توثيق تاريخ المنطقة العربية.

رابعاً :أدبَ الرحلة الغربي وكتب القناصل وأدب الأسرى ومذكرات رجال السياسة بوصفها مصادر أولية ذات قيمة تاريخية استثنائية.

خامساً :الصحفَ والدوريات الأجنبية المتخصصة ودورها في توثيق الأحداث العربية الكبرى، مع تحليل نقدي لمنهجية توظيفها في البحث التاريخي.

وقد اعتمدنا في بناء هذه المطبوعة على جملة من المصادر والمراجع الأكاديمية المتخصصة، سواء منها العربية أو المترجمة أو الأجنبية، مع الحرص على الجمع بين العرض العلمي الأمين والنقد المنهجي الموضوعي.

ونأمل أن تُشكّل هذه المطبوعة إضافةً نوعية تُرسّخ لدى الطالب الوعيَ المنهجي النقدي، الذي يُعدّ أساساً لا غنى عنه في الدراسات التاريخية المتقدمة .والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المحاضرة الأولى :المصادر المتخصصة

- **تعريف المصادر:**

وهي كل ما يمد الباحث بالمعلومات الأولية والمباشرة والتي تعد المنبع الأساسي في أي بحث، فإذا ما أردت أن تقوم ببحث حول شخصية مثلا فإن المصدر الأساسي الذي تستمد منه مادتك الأولية هي آثاره التي تركها مثل مجالس التذكير ومقالاته المنشورة في صحف.

وتساهم المصادر والمراجع بإغناء البحث العلمي بمعلومات كبيرة، كما أنها تقدم إجابات جاهزة للباحث عن مجموعة من الأفكار التي تدور في رأسه حول موضوع معين.

أولا: تعريف المصادر :

1- المصدر في الاصطلاح النحوي:

ما يصدر عنه الشيء، ويعرفه علماء اللغة بأنه: صيغة اسمية تدل على الحدث فقط، أو على اللفظ الدال على الحدث مجردا عن الزمان متضمنا أحرف فعله فقط.

المصدر في الإصطلاح العام:

هو الأساس المتبع الذي أخذت منه الفروع، وهو الأصل الأول للمادة، وبتعبير آخر هو ذلك الكتاب الذي نجد فيه المعلومات الصحيحة كاملة، والمصدر كتب شاملة مركزة في مداها ومجالها ومعالجتها للموضوع.

اما المصادر الغربية : هي كل الكتابات الأجنبية التي تم تدوينها من طرف الأجانب الأوربيين وغيرهم سواء على شكل مذكرات أو كتب أو تقارير أو مراسلات، وهي كلها تترجم الوضع العام للجزائر خلال الحكم العثماني، فقد عمد هؤلاء الأجانب على اختلاف تخصصاتهم (مؤرخين ، شعراء، أطباء، رحالة، أسرى عبيد، قناصلة، جواسيس، سواح، علماء) كل حسب مجاله وهدفه في الكتابة.

المصادر المتخصصة : والتي تقتصر في تغطيتها على مجال معين او موضوع محدد ، ولا تختلف المصادر المتخصصة عن المصادر العامة في انها تقتصر في تغطيتها على المجال او موضوع معين فحسب ، وانما هي تختلف عنها ايضا في انها موجهة في العادة للباحث او الدارس المتخصص وليس القارئ العام ، بحيث يكون صاحبها متخصصا في المجال الذي يكتب فيه ، مثلا مؤرخا في الكتابات التاريخية ، البيولوجي في الكتابات البيولوجية على ان تكون هذه المصادر خاضعة للمناهج العلمية المتخصصة وتنطلق من وعاء معلوماتي او مقدمات علمية ، بحيث تكون هذه المصادر بصفة عامة قابل للنقد ويشترط فيها تحقيق شروط الكتابة العلمية .[1]

اهمية المصادر المتخصصة في كتابة التاريخ : والتي تكمن في :

- تسلط الضوء على مراحل او زوايا اهملتها الكتابات المحلية : عادة ما تثير الكتابات الاجنبية قضايا او اطروحات تتعارض مع طرح الكتابات المحلية ، فتثير بذلك الجدل والنقاش

[1] محمد فتحي عبد الهادي وآخرون : المصادر المرجعية المتخصصة ، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، 1991 ، ص 18 .

وتحليل المعلومة ، مما يعطي للدراسة التاريخية بعد علمي عميق ، او تتعرض هذه الدراسات الى بعض المجالات التاريخية التي كانت مهملة وغير مطروقة في الكتابات المحلية ، ونذكر على سبيل المثال التاريخ الاقتصادي وهو ما تطرقه اليه " اندري نوشي André Nouschi" في الريف القسنطيني ، كذلك التاريخ الاجتماعي الذي تطرق اليه " ايميل ماسكري " الذي كتب التراث الثقافي للاوراس ... ، الى جانب توفيرها بيانات أرشيفية وإحصائية دقيقة غير متاحة محلياً، مما يعزز الموضوعية ويفتح آفاقاً لدراسات مقارنة في التاريخ البيئي والديموغرافي والأنثروبولوجي؛ فمثلاً درس إرنست بينافينتي (Ernest Benvenisti) الهجرات الديموغرافية في شمال أفريقيا، وروبرت مونتاج (Robert Montagne) التنظيمات القبلية في المغرب والصحراء، وبيير لوك دور (Pierre Louis-Dourin) التجارة في تونس عهد البايات، وديفيد هارت (David Hart) ديناميكيات جبال الأطلس، ولورنس أوف أرابيا (T.E. Lawrence) ثقافة البدو في الحجاز والشام، تكملةً لجهود عبد العزيز الدوري في التاريخ الاقتصادي الإسلامي المبكر .

نقد الكتابات الغربية المتخصصة : تتميز الكتابات الغربية بانها متخصصة في التاريخ وانها صادرة عن اسماء لها وزنها العلمي وانها فاقة الدراسات المحلية في التخصص والدقة ، الا انها يبقى التعامل معها بحذر كونها :

- تخضع لأيديولوجية معينة وتكتب من منظور علاقة الغالب بالمغلوب ، كما انها جاءت كلها تخدم الفكر الاستعماري ولم تجرم الاستعمار كظاهرة انسانية (استغلال الانسان لاخيه الانسان)
- تكاد تكون الموضوعية غائبة الا عند بعض الحياديين ، فمعظم هذه الاقلام التاريخية تكتب من منطلق ميل الى فكرة دينية او فكرة اثنية .
- **التشويه و التضليل**:تحليل وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيرا ماديا، وتوجيهه وفق خط المدرسة الوضعية، والمادية الماركسية، فالفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب هو طمع في خيراتها ،والوجودالعثماني في الجزائر احتلال، والثورة التحريرية هي ثورة جياع، يمكن معالجتها بالحلول الاقتصادية من خلال المشاريع ،

ومن مظاهر التضليل والتشويه أيضا الطعن في الشخصيات الإسلامية والدينية بهدف زرع الشك، ومنها وصف الأمير عبد القادر بالتعصب الديني أولا ثم صديقا لفرنسا ثانية، أنّ الهدف من ثورته هو ان يحل محل الحكم التركي

-**الانتقائية:** يركِّز المؤرخون والكتاب الغربيين في تناولهم للتاريخ الإسلامي خصوصا على قضايا محددة وكتب

معيَّنة ، هي محل شك وطعن عند المسلمين، أثارها أو زرعها أعداء الإسلام قبلهم من اليهود والشيعة فللمسلمين خصوم وللدين أعداء، فيُختار من الحوادث الفردية والمعزولة فيتم نفخها قصد التهويل .

- **استبدال المنهج الإسلامي بالمناهج الوضعية الغربية :**وكأنهم يقولون لنا ها هي علومنا الاجتماعية والإنسانية ، بديلا عن منهجكم المبني على أحكام جاهزة، فمناهجنا قائمة على العلم

والبرهان والتجارب، فهي علوم حقيقية ، برهانية، يقول رينان:" كل شخص عنده شيء من التعلم في عصرنا هذا يلاحظ بوضوح دونية المسلمين الراهنة، والانعدام الثقافي لديهم ناجم عن تلقي ثقافتهم وتربيتهم من الدين الإسلامي فقط ، ولتكريس هذا المنهج ألصقوا
بالتاريخ الإسلامي مصطلحات مشينة كالرجعية والظلامية، ثم الإرهاب في الوقت الحالي، والحقيقة أنَّ هذا المنهج لم يُطبق ضد التاريخ العربي الإسلامي فحسب، بل ضد كل الشعوب المستَعمَرة ولاسيما في إفريقيا لتدمير ثقافتها، تقول الكاتبة الكينية ماثاي:" عندما تذكرتُ ما رواه لي أجدادي عن تاريخ مجتمعنا (الإفريقي) بدأت أدرك أنَّ الكثير مما حدث في إفريقيا قبل الاستعمار كان خيرا على عكس ما تعلمت في المدارس (الاستعمارية) .

:نماذج من مؤرخين فرنسيين:

يرى أبو القاسم سعد الله فيما يخص كتابة تاريخ الجزائر من قبل الفرنسيين حول القرن التاسع عشر بأنه كتابات ممنهجة من سلطة الاحتلال و حتى انه حول الدولة و بطولات الفرنسيين و أعمالهم حيث نجده يقول :"...فالمؤرخون الفرنسيون أمثال جوليان و ريفير و آخرون اهتموا ببطولات جيشهم و رواد إدارتهم في الجزائر و كذلك تطور الجالية الأوروبية فيها و انجازات العهد الاستعماري ...و نحو ذلك مما كان يهدف إلى خدمة الدولة الفرنسية و إسعاد الجالية الأوروبية..."[1].حيث يتضح مما يقوله المؤرخ سعد الله وجهة النظر الفرنسية في تدوين التاريخ الجزائري و انها قاصرة غير شاملة، و في التالي سنحاول عرض نموذجين من هذه المدرسة الفرنسية قدما كتابات متخصصة اما حول الجزائر او حول الشمال الافريقي كله و في كلا الحالين نكون استعرضنا كتابات عن جزء من وطننا العربي.

- **المؤرخ شارل اندري جوليان (Charles-André Julien)** ولد المؤرخ شارل أندري جوليان بمدينة كان الفرنسية عام 1891 و توفي عام 1991 ،يعتبر مؤرخا و صحفيا فرنسيا مختصا بشؤون المغرب العربي ،حيث تكون في معهد الدراسات السياسية بباريس و في المدرسة القومية للإدارة و في السوربون و انتقل و هو في سن الخامسة عشر للعيش و أسرته في الجزائر ،حيث تابع دراسته و بعد حصوله على الباكالوريا عمل كاتبا في وهران ، حيث كانت له الفرصة للتعرف على العنصرية و رصدها اكثر و رصد الظلم الذي يلقاه الجزائريون فانخرط في العمل السياسي و اصبح ينتمي للمعارضة اليسارية ثم بعدها الى الجبهة الشعبية المعارضة لنظام الاستعمار والتي ضمن مساعيها تحسين اوضاع الشعوب في تونس و الجزائر و المغرب[2].

ـ **أهم مؤلفاته:** قدم شارل اندري جوليان كتابات عديدة في تاريخ المغرب العربي نذكر منها:

---

[1] أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية 1830-1900،ج1،دار الغرب الاسلامي،بيروت-لبنان-،1992،ص7

[2] قحيز عامر:المؤرخ شارل اندري جوليان و وره في كتابة تاريخ الجزائر (209-193)،مجلة قضايا تاريخية،العدد الثاني ، 2016 ،ص 200

- **تاريخ افريقيا الشمالية تونس – الجزائر – المغرب، من الأصول إلى 1830 :** ***Histoire de l'Afrique du Nord. Des origines à 1830. Tunisie – Algérie – Maroc*** و هو أول كتاب له ظهر عام 1931 و تم تعريبه من قبل مزالي و البشير و نشر في تونس أكثر من مرة، وقد صدر في مجلدين عن دار بايو (Payot) ضمن «المكتبة التاريخية»؛ الأوّل بعنوان *Des origines à la conquête arabe (647 ap. J.-C.)*، يتناول الفترات الفينيقية والقرطاجية والرومانية والوندالية وصولًا إلى الفتح الإسلامي، والثاني *De la conquête arabe à 1830*، يغطّي التاريخ السياسي لممالك وإيالات تونس والجزائر والمغرب حتى عشية الاحتلال الفرنسي. اعتمد جوليان في هذا العمل على بحث أرشيفي واسع واستثمار للأدبيات الاستشراقية الكلاسيكية، وسعى إلى إبراز «استمرارية» تاريخية مغاربية؛ إذ درس كيف انصهرت العناصر الفينيقية والرومانية والعربية في ما يسميه «الدوام الأمازيغي»، ليخلص إلى أن الاستعمار الحديث ليس بداية التاريخ بل حلقة عابرة ضمن مسار طويل، في مواجهة أطروحة المدرسة الكولونيالية التي جعلت تاريخ الجزائر يبدأ سنة 1830. يتضمن الكتاب خرائط ورسومًا توضيحية وببليوغرافيا مفصلة، وقد أُعيدت مراجعته وتحيينه في طبعات لاحقة على يد مؤرخين مثل كريستيان كورتوا وروجيه لو تورنو، مما كرّس مكانته كمرجع أساسي لكل بحث يتناول تاريخ تونس والجزائر والمغرب قبل الاحتلال الأوروبي [1].

- **كتاب تاريخ الجزائر المعاصرة الذي صدر عام 1964** ***Histoire de l'Algérie colonisation contemporaine. Tome 1 : La conquête et les débuts de la (1827-1871)*** يُعتبَر من أهمّ الأعمال الكلاسيكية في كتابة تاريخ الجزائر الاستعماري المبكر، إذ يغطي المرحلة الممتدة من الأزمة الدبلوماسية قبيل غزو 1830 إلى ما بعد انتفاضة المقراني والاضطرابات الكبرى لسنة 1871، مع التركيز على تشكّل نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر في أبعاده السياسية والعسكرية والإدارية. يقدّم جوليان في هذا المجلّد سردًا متماسكًا لحملة الاحتلال، ونقاشات البرلمان والحكومة في باريس حول نمط الحكم (عسكري أم مدني)، ومسار إقامة البنية المؤسسية للاستعمار (الجيش الإفريقي، سلطة الحاكم العام، البلديات المختلطة، أنماط الاستيطان الزراعي)، كما يتناول سياسات إخضاع القبائل، واتفاقيات «التهدئة»، والحروب المتكررة في الداخل الجزائري. ولا يكتفي المؤلف بوصف الوقائع السياسية والعسكرية، بل يربطها بأسئلة أوسع تتعلق بطبيعة المشروع الكولونيالي الفرنسي، وآثاره على البنى الاجتماعية والاقتصادية الجزائرية، مع عناية خاصة بمسار نزع الأراضي وتشكّل الملكية الاستيطانية.
وبفضل اعتماده الكثيف على الأرشيفات العسكرية والبرلمانية الفرنسية، وعلى تقارير الإداريين والرحالة، أصبح هذا الكتاب مرجعًا لا غنى عنه لكل باحث يشتغل على بدايات الاحتلال؛ فهو يوفّر إطارًا تركيبيًا عامًا يمكن أن تُبنى عليه الدراسات المتخصصة اللاحقة، سواء تلك التي تعيد قراءة التجربة الاستعمارية من زاوية التاريخ الاجتماعي والاقتصادي[2] .

---

[1] Julien Charles-André. *Histoire de L'Afrique du Nord, Tunisie, Algérie, Maroc*. Payot. Paris , 1961 .

[2] Julien Charles-André. *Histoire de l'Algérie contemporaine. Tome I : La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871)*. Paris: Presses universitaires de France, 1964 .

و قد حظي هذا الكتاب باهتمام كبير و اقبال غفير في الجزائر و قد حلله عديد المؤرخين فنجد المؤرخ ابو القاسم سعد الله خصص له عنصرا كاملا في كتابه أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر تحت عنوان: الأستاذ جوليان و التاريخ الجزائري،ارتأينا العمل به ضمن مطلبنا هذا لكننا بذلك نكون اولينا الجزائر عن بقية الوطن العربي و عن المغرب العربي خاصة ان القضايا التي تضمنها غير قابلة للتعميم مع بقية الاوطان لنستطيع ادراجها.

- **كتاب المغرب في مواجهة الإمبرياليات) *Le Maroc face* 1956–1415(** *aux impérialismes (1415–1956)*يُعَدّ خلاصة نظره في التاريخ السياسي للمغرب ضمن المدى الطويل للعلاقات مع القوى الأوروبية، من أول احتلال برتغالي لسبتة سنة 1415 إلى حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956. ينطلق جوليان من فكرة مركزية مفادها أن تاريخ المغرب خلال هذه القرون هو تاريخ مواجهة متواصلة لأشكال متغيّرة من الضغط الإمبريالي (البرتغالي، الإسباني، الإنجليزي، ثم الفرنسي بوجه خاص)، مع التركيز على كيفية تكيّف المخزن واستراتيجياته للحفاظ على السيادة في مواجهة التغلغل الاقتصادي والعسكري والدبلوماسي الأوروبي. لذلك بُني الكتاب على محورين متداخلين: محور زمني يمرّ بالمحطات الكبرى (الوجود البرتغالي في السواحل، التنافس الإسباني-الفرنسي، الحماية الفرنسية 1912، أزمات ما بين الحربين، الحرب العالمية الثانية، ثم مفاوضات الاستقلال)، ومحور تحليلي يدرس أدوات الهيمنة (الامتيازات، الديون، البعثات العسكرية، المعاهدات التجارية) وموقع النخب المخزنية والحركة الوطنية في التعامل معها. وتؤكد المراجعات النقدية أن جوليان يجمع في هذا العمل بين حسّ المؤرخ وحسّ المناضل؛ فهو يقدّم نصًّا غنيًا بالوثائق والقراءات الأرشيفية، وفي الوقت نفسه لا يخفي تعاطفه مع الحركة الوطنية المغربية ونقده الحاد للسياسات الاستعمارية، ما جعل الكتاب يُقرأ بوصفه في آن واحد تركيبًا تاريخيًا مرجعيًا و«مرافعة» فكرية ضد المشروع الكولونيالي .

- كتاب **وحين استقلّت تونس) 1957–1951** *(Et la Tunisie devint indépendante)* يتناول فيه مرحلة الكفاح الوطني التونسي من أواخر الحرب العالمية الثانية إلى إعلان الاستقلال في منتصف الخمسينيات. يركّز جوليان على مسار التفاوض والصراع بين الحركة الوطنية ممثَّلة أساسًا في الحزب الحر الدستوري الجديد (بزعامة الحبيب بورقيبة) والسلطات الفرنسية، مع إبراز دور الإضرابات، والانتفاضات الشعبية، وتحوّل ميزان القوى الدولي بعد 1945 في دفع فرنسا نحو قبول مبدأ الاستقلال. ويولي الكتاب عناية خاصة لتطوّر خطاب بورقيبة واستراتيجياته التدرّجية (الاستفادة من الوضع الدولي، اللعب على تناقضات الساحة الحزبية الفرنسية، توظيف قضية تونس في المنابر الدولية)، مقابل تردّدات الإدارة الاستعمارية ومحاولاتها إعادة صياغة نظام «الحماية» بدل التخلي عنه. كما يضيء الكتاب البعد المغاربي للقضية التونسية، من خلال ربطه بين تطورات تونس والجزائر والمغرب، وإبراز كيف أن استقلال تونس كان جزءًا من لحظة تفكّك المنظومة الاستعمارية الفرنسية في شمال إفريقيا .

- **شارل روبير أجيرون(Charles-Robert Ageron) :** مؤرخ فرنسي يُعَدّ من أبرز المتخصصين في تاريخ الجزائر الاستعماري وفي تاريخ فرنسا الاستعمارية عامة، ويمثّل مع جوليان أحد أعمدة «المدرسة الفرنسية» في كتابة تاريخ الجزائر المعاصرة. وُلد في ليون سنة 1923، لقد تعرف شارل روبير آجيرون بالواقع الجزائري بفضل عمله ضمن الخدمة العسكرية في الجزائر سنة 1945 فشهد جرائم الثامن من ماي بنفسه ، ثم عاد للعمل بها عام 1947 كأستاذ ثانوي فمكث بالجزائر 10 سنوات ، ثم في جامعة تور (Tours) وجامعة باريس 12، كما ترأس «الجمعية الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار» وأدار مجلة *Revue française d'histoire d'outre-mer* .

ومن اهم مؤلفاته :

تميزت اعماله بالروح العلمية و الموضوعية و الاعتماد على المصادر ال أولية غالبا من وثائق و أرشيف سواء من فرنسا أو الجزائر، عبر تعيينه استاذا مساعدا بجامعة السوربون سنة 1961 احتك بشارل اندري جوليان المختص في تاريخ المغرب القديم ،وهوما أثر في تكوينه، ومن أبرز اعماله نبدأ

- من رسالته للدكتوراه بعنوان الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871- 1919 *Les Algériens musulmans et la France, 1871-1919*التي نوقشت سنة 1968، والتي نشرت ككتاب كذلك.و قد اعتبر أهم المراجع في تاريخ الجزائر الاستعماري؛ خصّصه لدراسة أوضاع الجزائريين المسلمين وعلاقتهم بفرنسا من ثورة المقراني 1871 إلى إصلاحات 1918- .1919يقارب أجيرون هذه المرحلة من زاوية طويلة المدى، فيحلّل تطور المجتمع الجزائري المسلم اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا ودينيًا، بدل الاكتفاء بتاريخ سياسي للنخبة أو للإدارة الاستعمارية. يقوم الكتاب على فكرة منهجية أساسية هي أن تاريخ المسلمين الجزائريين لا يختزل في «مراحل السياسة الاستعمارية»، بل له ديناميكيته الخاصة، لذلك يقترح تقطيعًا زمنيًا مزدوجًا: فمن جهة يقسّم الفترة إلى مرحلتين كبريين في تطور المجتمع المسلم (1871- 1891تحت عنوان *Vae victis*، حيث تسود تبعات الهزيمة وتجريد الأراضي، ثم 1891- 1919كمرحلة «يقظة « جزائرية مسلمة)، ومن جهة أخرى يعتمد فصولًا أقصر لقراءة التحولات السياسية والإدارية. يتوزع الكتاب إلى أربع وحدات رئيسية«(1891-1871) Vae Victis» :، »تدخل المتروبول والأزمة الجزائرية (1891-«(1901، »تطور الجزائر المسلمة والسياسة الأهلية (1891-«(1914، و«الجزائريون خلال حرب 1914- 1918والإصلاحات 1918-«1919؛ وفي كل جزء يربط بين سياسات الاستعمار (قوانين الأراضي، نظام الأهالي، التمثيل النيابي) وبين آثارها على البنية الاجتماعية، مثل تفكك الملكية التقليدية، الهجرة، التعليم، والحركات الإصلاحية. اعتمد أجيرون على رصيد أرشيفي واسع (أرشيفات الجزائر وباريس، سجلات الإدارة، نصوص قانونية وتقارير رسمية، صحافة فرنسية وجزائرية)، إلى جانب إحصاءات سكانية واقتصادية، ما جعل عمله أقرب إلى «موسوعة» عن وضع الجزائريين المسلمين في

النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، وقد حظي منذ صدوره (1968) بتقدير كبير في الأوساط العلمية لما اتّسم به من عمق توثيقي وتحليل نقدي لسياسة " الجزائر الفرنسية "

- **كتاب تاريخ الجزائر المعاصر، المجلد الثاني: من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954** *Histoire de l'Algérie contemporaine, t. II : De l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération (1954)* هو الجزء الثاني من السلسلة الكلاسيكية حول تاريخ الجزائر المعاصر، ويُتمّم ما بدأه شارل أندري جوليان عن مرحلة الغزو وبدايات الاستعمار. ينطلق أجيرون من انتفاضة 1871 (ثورة المقراني والشيخ الحداد) بوصفها لحظة مفصلية أنهت طور «الغزو» وافتتحت طور «الجزائر الفرنسية» المستقرة ظاهريًا، ثم يتتبع في ما يقارب 650 صفحة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر حتى عشية اندلاع ثورة نوفمبر 1954. يتناول الكتاب قضايا نزع الأراضي وتوسّع الملكية الاستيطانية، تطور المجتمع الأوروبي-الجزائري، أوضاع «الجزائريين المسلمين» في ظل نظام الأهالي، سياسات الإدماج/التمييز، بروز الحركة الوطنية بمختلف تياراتها (الإصلاحية، الشيوعية، الاستقلالية)، وصولًا إلى الأزمات التي مهّدت لحرب التحرير .ويقوم البناء المنهجي على مزج السرد الكرونولوجي (تقسيم الفترة إلى مراحل سياسية كبرى: ما بعد 1871، ما بين الحربين، ما بعد 1945) بتحليل موضوعي للبنى العميقة (الديموغرافيا، البنية الريفية، المدن، التعليم، العمل المأجور، الجيش)، بالاستناد إلى رصيد أرشيفي واسع من وثائق الإدارة الفرنسية، والإحصاءات، والنصوص القانونية، والصحافة. لهذا اعتُبر هذا المجلد، منذ صدوره عن منشورات الجامعة الفرنسية PUF سنة 1979، مرجعًا أساسيًا في دراسة المرحلة الممتدة من «التهدئة» بعد 1871 إلى أعتاب حرب التحرير، وإطارًا تركيبيًا لا غنى عنه للباحثين الذين يدرسون أصول الحركة الوطنية وتحوّلات المجتمع الجزائري في أواخر الحقبة الاستعمارية.

- **أندري نوشي** (André Nouschi): مؤرخ فرنسي من مواليد مدينة قسنطينة بالجزائر في 10 ديسمبر 1922 من عائلة يهودية ، انضم إلى حكومة فرنسا الحرة عام 1940مقاتل في صفوفها، مما جعل حكومة فيشي تجرده من الجنسية الفرنسية عام1942مـ ،وبعد الحرب العالمية الثانية استقر بفرنسا. عين أستاذ محاضر في جامعة تونس عام1961م، وعند إنشاء جامعة نيس بفرنسا أصبح أستاذا فخري للتاريخ المعاصر بها كما أسهم في تأسيس مركز البحر المتوسط الحديث والمعاصر (CMMC) ومجلة *Cahiers de la Méditerranée* بجامعة نيس، مع حفاظه على موقف واضح مناهض للاستعمار ومتعاطف مع حركات التحرر في الجزائر والعالم العربي.

تخصص في تاريخ شمال إفريقيا عامة وتاريخ تونس والجزائر على وجه الخصوص، كما وسع اهتماماته بتاريخ استغلال البترول في الشرق الأوسط والعالم العربي . ركز على التاريخ الاقتصادي للجزائر حينما أعد أطروحته حول مستوى معيشة سكان الريف القسنطيني منذ الاحتلال ولغاية سنة 1919 تحت اشراف استاذه شارل اندري جوليان ، وهو الكتاب الذي

أشاد به توفيق المدني بقوله " قطرة الماء التي تقدم للمسافر بعد عبور الصحراء " توفي في 7 مارس 2017 بنيس الفرنسية ،

مؤلفات اندري نوشي حول تاريخ الجزائر:

يوضح المؤرخ الفرنسي أندري نوشي من خلال كتاباته حول تاريخ الجزائر المعاصر حالة التعقيد والتلازم التي أضحت عليها وضعية الجزائر في صلتها بالمتروبول بسبب الفعل الاستعماري ،حينما يذكر أن تاريخ الجزائر خلال القرن العشرين كان على نقيض تام لما كان عليه في القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد أدى الاستيلاء على مدينة الجزائر إلى انطلاق عملية شاملة لاستعمار كامل التراب الجزائري ، بينما حملت الحرب العالمية الأولى التي دشنت تاريخ القرن العشرين معها سلسلة من الظواهر لا صلة لها بما ساد في الماضي
فالظواهر الجديدة مثلها مثل الفعل الاستعماري صارت مركبة ومعقدة طالت المجال السياسي بل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي أيضا
من أهم مؤلفاته، نذكر مايلي : [1]

كتاب" " ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية Naissance du algérien nationalisme": الكتاب بحجم 188صفحة طبعةديمينوي(De minuit)بباريسسنة1962 ينقسم إلى ست فصول وهو من أهم مؤلفاته،يغطي فيه مرحلة هامة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية التي تمتد من1919مـ الى سنة1954مـ، شملت الأحداث العسكرية المتمثلة فيثورات المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاستعماري ،والاحداث السياسية من مشروع بلوم-فيوليت الى غاية الحرب العالمية الثانية 1936 -1939مـ، و التطورات السياسية ما بين سنوات1939-1954مـ، كما يخصص فصلين للنمو الاقتصادي و الاجتماعي للجزائر ما بين سنوات1919-1954

-**كتاب"الجزائر المرة1919-1994مـ Algérie amère' هو"** من احسن الكتب التي خصصها نوشي لتاريخ الجزائر المعاصر ،طبعته لاميزون دي سيونس دي لوم Maison des sciences de l'homme،ويحتوي على349صفحة،ينقس lإلى قسمين، كل قسم يحتوي على مجموعة من الفصول.الكتاب انجز بطريقة جيدة، وعنوانه مناسب لمحتواه، وهو ما توضح المقدمة معناه الواسع بدلالات مختلفة ومتنوعة ،فهو يقدم دراسة طبوغرافية ممتازة ، وبترتيب جيد لاهم المعلومات و الملاحظات ، نصه واضح، يقرأ بكل سهولة، وبه
مجموعة من الوثائق خاصة بالفـترة المحددة في العنوان، ذات معاني كبيرة ، لكن ما يؤسف له هو الغياب الكامل للخرائط والفهارس

القسم الأول جاء بعنوان" الجزائر و فرنسا الاستعمارية " يتناول فيه الفترة من1914 الى1962، تطرق فيها

---

[1] بكاري عبد القادر : ملامح وقدرات المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر كتابات اندري نوشي أنموذج ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا ، عدد 02 خاص ، افريل 2022 ، ص ص 52- 58 .

الى الجوانب الاقتصادية والسياسية للجزائر ما بين1939و1945مـ ، القسم الثاني تمتد أحداثه من1962الى1988وليس الى سنة1994 كما ورد في العنوان، تتقاسمه ثلاث فصول تحدث فيها عن حكم
الرئيس أحمدبن بلة، والرئيس هواري بومدين والرئيس شادلي بن جديد

-كتاب"**عودة الأسلحة، الاستعمار وإنهاء الاستعمار الفرنسي** ,les armes retournées" colonisation et décolonisation françaises :.الكتاب عبارة عن وثيقة تاريخية بامتياز مدعم بوثائق دقيقة مرقمة ، وبالآراء والتعاليق الحرة للكاتب الذي يعتبر شاهد عيان لبعض الأحداث تارة، و مشاركا في بعضها الأخر في مراخلها يحتوي على ثمانية فصول، تدور حول عوالم الاستعمار، والقوى الكبرى الاستعمارية، الادارة والسياسة الاستعمارية في المستعمرات ،حيث يعرض هذا العمل من منظور بعيد المدى الاستمرارية
بين الاستعمار و انهاء الاستعمار ، و يلقي ضوء جديدا على الخبايا السياسية والواقع اجتماعي و الاقتصادي والثقافي للمستعمرات

كتاب"تقرير حول مستوى معيشة سكان الريف القسنطيني من الاحتلال حتى سنة1919مـ:
Enquête sur le niveau de vie des populations rurales
constantinoises de la conquête jusqu'en1919 الكتاب عبارة عن رسالة تأهيلية لنيل شهادة علمية،ناقشها المؤلف سنة1959مـ بجامعة
السوربون بباريس تحت اشراف استاذه شارل اندري جوليان، تتحدث عن الأوضاع العامة للإقليم القسنطيني الجزائري ،وخاصة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، متسائلا عن مدى النتائج الجديدة التي ترتبت عن السيطرة الفرنسية للجزائر .[1]

:نماذج عن مؤرخين روس

كوتشكو فسكي: ولد في 17 مارس في مدينة فلما wilma عاصمة جمهورية لتوانيا ،دخل المدرسة الثانوية وفيها تخرج عدد من المستشرقين وفي مدرسته اطلع على كتاب نجو اللغة العربية فأخذ يتعلم اللغة بنفسه دون معلم. وقد كانت رسالة تخرجه حول خلافة المهدي العباسي وفق مصادر عربية .

قام بدراسات حول الأحوال الخاصة بالعالم العربي ، إضافة لمقال بعنوان مصطفى كامل و حوله،فكتب في تاريخ الحركة الوطنية المصرية،المسألة العربية و التعاطف الروسي. و إلى جانب

[1] نفسه

هذه الدراسات نجده ألف كتابين هما : *بين المخطوطات العربية* ، *تاريخ التأليف في الجغرافيا عند العرب*. نال أولهما شهرة واسعة ثم ترجم لعدة لغات[1]

-فلاديمير لوتستكي: ألف هذا المستشرق كتابا أسماه الحرب الوطنية التحريرية في سوريا 1925-1927 أنجز منه ثمانية عشر فصلا في فترات متقطعة كان أخرها عام 1956 ووعد بإنجاز فصل آخر يبرز فيه كيف تعاطى الثوار السوريون في المسألة الطائفية في سوريا ولبنان وكيف استطاعوا انتشال السلاح الاستعماري الطائفي الذي طالما لجأ إليه الاستعماريون الفرنسيون والانجليز منذ القرن 19 لتوطيد أقدامهم في جبل لبنان تمهيدا للتوسع منه نحو المشرق العربي كله ،فيكمل الفصل منتقلا فجأة للخاتمة و بقي الكتاب موجودا على آلة الكتابة حتى وفاته 1962 فقامت المؤرخة اوتسكاب زوجته و تلميذته سيسيليا شكاب بنشره وتم ذلك باللغة الروسية عام 1964 في 335 صفحة، وترجم للعربية و نشر عام 1987.

كان موقف لوتسكي من البداية موقف مدافع عن المصالح السورية من السياسة الامبريالية الفرنسية في منظوره و كان لا يترك اشارة و لو عابرة لكاتب صحفي اجنبي ولا يعلق عنها بما يخدم الثورة و الثوار في رأيه في الوقت الذي حاولت الصحافة فيه تصوير الثورة االسورية كتمرد إقطاعي رجعي ضد الحضارة الغربية ،حيث رد لوتسكي مقولته اتجاه هذا الكلام عبر مناقشته لعدد كبير من الآراء و البيانات و الأخبار التي نشرها الباحثون و الصحفيون الأجانب و من الاستخبارات الاستعمارية خاصة فرنسا. و على كل حال فهو أبو الاستشاق الروسي في الفترات الاخيرة.

و من أهم مؤلفاته:[2]

- دراسة في ادارة المهدي
- نشر مخطوطتين مجهولين عن الجغرافية و علم الفلك
- جنوب جزيرة العرب
- كتاب المخطوطات العربية

أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي:

نشرت هذه الأخيرة كتاب تاريخ الأقطار ال عربية المعاصر االذي جاء في 842 صفحة و هو أول محاولة لعرض تاريخ العالم العربي في أحداث مراحله بصورة ممنهجة تمثلت الغاية من نشر هذا الكتاب في المساهمة في فهم واحدة من أهم وسائل التطور في الشرق العربي و هي مسألة تحول الثورة التحريرية الوطنية إلى الثورة الاجتماعية ، و قد جاء مضمون الكتاب يبين ان قتال الجماهير الكادحة في البلدان العربية من أجل التحرر الاجتماعي و الاننقال من السيطرة

---

[1] عبد الرحمن بدوي :موسوعة المستشرقين ،دار علم للملايين،ط3،بيروت-النان- 1993،ص 471

[2] سعدون محمود :الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة،دار المناهج للنشر و التوزيع، عما ،2003،ص 142

الامبريالية للتحرر الوطني و هو ما يشار له في بداية الكتاب و قد لقي الكتاب هتماما كبيرا خاصة من الجانب الاقتصادي و ممن يتبعون تطور العالم المعاصر[1].

:بعض المؤرخين البريطانيين :

- توماس إدوارد لورنس: هو توماس ادوارد لورنس ولد 15اوت 1888في تبربمدوك إحدى قرى ويلز في انجلترا وهو الابن الثاني لادوارد روبرت تشابمان ،اسمه الشهير هو لورنس العرب وله اسمان عسكريان ليتسنى بهما خلال القرن العشرين وهما جون هيومروس و تي أي شو ،فلم تكن عائلته تنعم بالاستقرار في مكان ثابت أو مكان واحد انتقلت إلى مناطق عديدة ومختلفة . وقد تلقى لورنس تعليمه في مدينة اكسفورد حيث تعلم القراءة والكتابة قبل أن يبلغ الرابعة وتعلم الفرنسية قبل أن يبلغ الثامنة من عمره .

ادخله والده سنة 1896 إلى مدرسة اكسفورد العليا ،وعرف أنه لم يعشق مواد الدراسة من غير التاريخ بصفة خاصة تاريخ المشرق العربي،حتى إن موضوع الرسالة التي قدمها لورنس إلى جامعته بعنوان :"الفن المعماري العربي عند الصليبيين في الشرق "فسبب اختياره لهذا الموضوع هو توجيه كارت الذي قام بإعداده أعدادا متقنا صادرا من أجل خبر مهنة التجسس والاستخبارات حيث رأى لورنس قادرا على بث أفكاره في المنطقة مهمة ،فسافر لورنس من إنجلترا إلى بورسعيد ومنها إلى بيروت بحرا ثم توجه إلى عدة مناطق منها صيدا وحيفا والخليل فطبريا وتمكن من خلال رحلاته إلى هاته المناطق من معرفة عادات وتقاليد المناطق التي زاره[2]ا ،وتفي لورنس ادوارد في سنة 1935 نتيجة حادث سير وقع له على دراجته النارية .[3]

اهم مؤلفاته:

كتاب صحراء زن :هو كتاب عن تقرير وضعه لورنس مع ليوناردو ووبي، كان هدفها وضع خرائط بصحراء سيناء ومعرفة مناطقها وطرقها ،حيث كانت سيناء حيث كانت سيناء إحدى المناكق المحتملة لتقدم القوات البريطانية ،لذلك رغبت الحكومة البريطانية في معرفة كل شيء عن هذه المنطقة لتسهيل وضع خطط لتقدم قواتها وكان هدفها المعلن هو معرفة الطرق التي ظل فيها الإسرائيليون لمدة 40عامت في صحراء سيناء .[4] وايضا نجد من بين أهم مخلفاته :

كتاب أعمدة الحكمة السبعة : The Sven pillars of wisdow)

---

[1] حسين محمد شريف : المصادر الغربية ،تخصص أولى ماستر تاريخ الوطن العربي المعاصر،(د.د.ن)، (د.ت).ص 14

[2] نور الهدى بن عباس :لورنس العرب ودروه في الثورة العربية الكبرى ١٩١٦/١٩٣٥،مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوطن العربي ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية ،جامعة محمد خيضر ،بسكؤة ٢٠١٨/٢٠١٩ص ١٠-١٢

[3] جهاد سعد :برنارد لويس صهينة الغرب وتتريك العالم الإسلامي ،ط١،المركز الاسلامي الدراسات الاستراتيجية ،بيروت ،٢٠١٨،ص٩.

[4] حسام علي محسن المدامغة :لورنس والقضية العربية ١٨٨٨-١٩٣٥،الاوائل للنشر والتوزيع ،دمشق، ٢٠٠٥,ص ١٩٥..

وهو الكتاب الثاني من سلسلة الكتب التي ألفها لورنس في سنة 1918م أثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس وخلال الكتابة كان لورنس يعيد كتابة مسوداته على ثالث مرات، حيث فقد الاول في محطة بإنجلترا ثم أعاد مسودته الثانية للكتاب في 1920م، و يقال حبس نفسه في غرفة بلندن حتى انتهى منها و أعاده في فبراير1922م، كتابة مسودة جديدة فكانت تنقيح من ناحية الاسلوب ثم تدبر أمر نشرها[1]

و يعتبر كتاب أعمدة الحكمة السبعة أهم ما كتبه لورنس عن تجربته في حياة الصحراء جنبا إلى جنب مع العرب و قادتهم، و قد حاو ل أن يعبر عن مشاعره تجاه تلك الحياة في مقدمة كتابه الشهيرة. و تناول الكتاب دور لورنس في قيادة و توجيه الثورة العربية والقتال ضد الأتراك، كمااتضح ذلك في الكتاب نظرته غير المتوازنة إلى العرب فهو عنده و سط بين الاوروبي و الزنجي.حيث أنه كان يحتقر الزنوج و الهنود بالإضافة إلى أن الكتاب مليء بالتناقضات فتراه يصف نفسه بقائد الثورة و تارة يعطي العرب الدور الاكبر في تحقيق الانتصار، كما جاء في قوله:[2]

"كانت الثورة حربا عربية، خاض غمارها العرب جنودا و قادة لتحقيق هدف عربي في بلاد العرب "

وكان نجاح الثورة طبيعيا البد من وقوعه، و هذا النجاح لم يعتمد الا على القليل من المساعدة

« الخارجية التي قدمها البريطانيون القلائل في الثورة الامر الذي ي سيل القارء يتأرجح بين اتجاهين متناقضين

و لكن على الرغم من ذلك يبقى كتاب الاعمدة أحد المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها

في موضوع الثورة العربية الكبرى ألن مؤلفه رجل عاصر الحدث و ساهم في صنعه ولذلك

تعتبره مدينة إسكفورد من أنسخ كتب الطبعات الإنجليزية أمانة، حيث ترجم الكتاب إلى اللغة العربية وصدر جزئيين منه[3]

المؤرخ لويس برنارد : :هو لويس برنارد ولد في31 ماي 1916 في انجلترا وتلقى تعليمه في كلية وليون والمدرسة المهنية حيث اكمل دراسته الثانوية ،ولا تذكر اي مراجع عن تلقيه اي تعليم ديني خاص ،بل إن يهوديته لاتكاد تعرف إلا من خلال عمق ارتباطه بالحركة الصهيونية الذي ظهر بعد 1968 [4]وتلقى تعليمه في لندن حتى تحصل على البكالوريوس في الآداب ،ثم التحق

---

[1] توماس ادوارد لورنس :اسرار لورنس العرب ،ت سامي الحجازي ،دار الأهلية للنشر والتوزيع ،الاردن ،٢٠٠٩،ص١١٣.
نور الهدي بن عباس :لورنس العرب ودوره في الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٣٥، مذكرة لنيل شهادة الماستر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية ،تخصص تاريخ الوطن العربي ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،2019/2018ص 21-22.

[3]نور الهدى بن عباس:المرجع السابق ،ص٢٢.

[4] مازن صلاح مطبقاني :منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الاسلامي،رسالة لنيل دكتوراه ،كلية ا

بالجامعة باريس معهد الدراسات السامية ،التحق بالجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية واعيرت خدماته للوزارة الخارجية البريطانية ،وانتقل للولايات المتحدة الأمريكية ،ليحصل على الجنسية الأميركية ١٩٧٢،فقد حضر الكثير من الندوات والمؤتمرات حول الدراسات العربية. الإسلامية .

كما قدم المشورة للكونغرس الأمريكية عام ١٩٧٤ وقد قامت وزارة الخارجية الإسرائيلية بنشر شهادته ومحاضرات في الكونغرس بعد إلقائها بأسبوعين.

فقد كان لويس متخصص في التاريخ الاسلامي وبخاصة الدولة العباسية ،ولكن اهتم بالإسلام عموما ، وان كان قد تحول من دراسة

القضايا المعاصرة في العالم الإسلامي عندما ظهر في الغرب االاهتمام بالقضايا المعاصرة ،ومن أبرز ما يهم في العالم الإسلامي أن يتم فهم الفكر السياسي.

وتوفي لويس برنارد عن عمر يناهز ١٠١عام وذلك في 22/05/2018.

مؤلفاته:

فكان من أبرز من كتاباته كتاب"ي التاريخ الاسلامي " تكلم فيه عن السياسة والفكر السياسي الذي. حاول من خلاله التشكيك في أصالة الحضارة الإسلامية

وايضا كتاب "العرب " الذي تناول فيه مسألة الحضارة إلا فيرى أن هاته الخضار. التي ازدهرت في الامبراطوريات العربية الإسلامية والمعروفة بالحضارة العربية ليست من صنع العرب الغزاة القادمين من الصحراء ولكنها صنعت بعد الفتوحات ،يتعاون فيها شعوب كثيرة من العرب والفرس والمصريين وغيرهم ،وانها لم تكن إسلامية محضة لان الكثير من النصارى واليهود والزرادشتيين قد أسهموا فيها ،ويقول إن اللغة العربية واسطة التعبير الأساسية عن هذه الحضارة التي سيطرت على الإسلام ونظرته الحياة ،ووصف إن اللغة العربية استطاعت التعبير عن حياة البدو بما فيها من ثراء ومشاعر وخيال وان موضوعاتها اقتصرت على الخمريات والحرب والصيد والعشق ،ومن وجهة نظره أنها لغة ليست قابلة للتعبير عن الأفكار المجردة ،او الفكر المحض وأنها لم تكن الفتوحات توسعا للإسلام وانما الانفجار السكاني في شبه الجزيرة دفعها للبحث عن متنفس في الدول المجاورة [1]

وهنا ك كتاب آخر وه"و الغرب والشرق الأوسط" : فقد تحدث فيه عن دوافع الفتوحات الإسلامية بحيث قال إن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم أنها جاءت السبب والنهب وكسب العيش ،اما عن فتوحات قال إنها غزو منطلق من الصحراء امتداد لامواج الاحتلال والهجرة والنزوح والاستيطان التي تنفجر من البداوي لتستقر في الأراضي الزراعية . [2]

لدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،المدينة المنورة ،قسم الاستشراق ،١٤١٤، ص ٥٨

[1] مازن صلاح مطبقاني :المرجع السابق ,ص319.

[2] المرجع نفسه،ص276.

- ماري اليزابيث هاربرت :

ولدت "ماري إليزابيث هاربت "Mary Elizabeth Herbert" بسنة 1822م بهتس بوراي بلندن "heytesbury" والدها "جان تشارلز" تميزت ماري منذ صغرها بشعبية كبيرة في أوساط لندن في[1]

عام 1846م تزوجت ماري من السيد هاربت في سنة 1865 م انتسبت ماري إلى الكنيسة الكاثوليكية و كانت جد معجبة بالمواضيع الدينية سافرت "ماري" إلى العديد من البلدان العربية منها سوريا, مصر , تونس و الجزائر و خلال رحلاتها كتبت الكثير من الأعمال الأدبية و التاريخية منها :

- **"الجزائر" 1871 م _ "القديسة في الجزائر" 1877**

في سنة 1872م نشرت "هاربت" كتابها بعنوان " البحث عن الشمس" أو "الجزائر سنة 1871م " زينت واجهة الكتاب بحي القصبة و في صفحة العنوان صورة لمصباح تونسي قديم ثم قدمت الاهداء لابنتها دون مقدمة تضع المؤلفة من العناوين لفصول كتابها و التي كانت عبارة مدن ج زائرية زيارتها منها : ووهران و تلمسان , مليانة , البليدة , الجزائر , شرشال , تيزي وزو, قسنطينة و باتنة بسكرة و مدن أخرى ... كمعظم الانجليز اعتبرت هاربت قدرة الحكم على المنطقة بنفسها من أبرز ما نجد أسلوبها ال يختلف عن السيدات البريطانيات اللواتي زرن إلزائر في السابق في بداية الكتاب أعطت تقسيم جغرافي للجزائر و أطلقت عليها مباشره تسمية الأراضي الفرنسية في شمال إفريقيا و التي تتكون من ثالث مقاطعات: وه ارن والجزائر وقسنطينة. هذا التقسيم كان في منظورها و بعد وصولها أعطت هذا التقسيم الذي يعتبر فيه الساحل أو البحر الواجهة التجارية و يحتوي على معظم المدن الكبرى ، ثانيا التل أو السهول الخصبة الشاسعة ، و التي تمتد من الساحل إلى السلاسل الجبلية في الأطلس، ثالثا منطقة الهضاب العالية كما يعرف لدى الفرنسيون، و الذي يتكون بالكامل من الجبال والوديان ، المزروعة هنا وهناك ، ولكن يستخدم بشكل رئيسي للمراعي, أما الجزء الرابع فيتمثل في الصحراء. إضافة إلى تقسيم الجزائر جغرافيا قسمت الكاتبة الجزائر بشريا إذ يعيش فيها: المور و العرب اليهود و أجناس مختلفة, كما أصدرت حكمها على تاريخ الذي تعرضت له الجزائر منذ العهد الروماني إذ كانت مقاطعة رومانية دامت مدة طويلة ثم شهدت الغزو الاسلامي وذكرت أن العرب الذين كانوا ثمانين ألف رجل أرسلهم الخليفة عمر سنة 645ه فاستولو ا على البالد و بالنسبة العثمانيون خلال القرن اجبروا السكان على قبول دين النبي صلى هللا عليه وسلم .[2] السادس عشر أصبحت الجزائر مقاطعة تابعة لهم لكن القبائل قاوموا الاتراك بنجاح و أسسوا دولة لهم و أن القبائل لغتهم مميزة عن اللغة العربية و عرقهم مجتهد و يعشون في منازل مستقرة ليس كالعرب الذين يترحلون ذكرت ليدي هاربت أن الحكومة الفرنسية بالجزائر تقوم بمجهودات كبيرة حيث تقول " من بين أكبر

---

[1] رباطي سماح :الجزائر في الرحلات الإنجليزية (1900/1830)،مذكرة لنيل شهادة الماستر ،كلية العوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية ،تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر ، جامعة العربي بن مهيدي ،ام البواقي ،2020/1019,ص51-

[2] رباطي سماح: المرجع السابق ص52.

الصعوبات التي واجهت الفرنسيين في الجزائر ، لم يكن هو غز و البالد ، بل تنظيمها ضريح سيدي بومدين: الالحق". و علقت على هذه صعوبات بالمقاومات التي شهدتها الحكومة بعد معركة سطاولي و تسليم الداي أمور البالد فمقاومة الأمير عبد القادر الذي يتميز حكمه بالاستبداد والذي استغل مكانته الشريفية بجعل العرب يكنون له الطاعة العمياء رغم ذلك الفرنسيين اسقطو ا حكمه طردوه إلى دمشق ليتبنى هناك دور المدافع عن حقوق المضطهدين من المسحيين ويتسنى لفرنسا استصدار القانون المدني من اجل إعادة هيكلة البالد التي كانت في فوضى مع الاستعانة ببعض شيوخ و القياد .

المحاضرة الثانية : الاستشراق وكتابة التاريخ الوطن العربي

مفهوم الاستشراق

المعنى اللغوي:

لفظة "استشراق" مصوغة على وزن "استفعال" في اللغة العربية، وهي مأخوذة من كلمة "شرق" مع زيادة ثلاثة حروف هي: الألف والسين والتاء. ويُفيد وزن "استفعال" معنى الطلب، وبذلك يكون معنى الاستشراق: طلب الشرق أو علومه وآدابه ولغاته وأديانه. وقد ورد في "المعجم الوسيط": "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت". أما في "لسان العرب" فيُقال: "شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت"، والمكان يُسمى المشرق. والتشريق هو الأخذ في ناحية المشرق، ويُقال: شتان بين مشرّق ومغرّب. وكل ما يطلع من المشرق فقد شرق، وجاء في الحديث: "لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا"[1].

المفهوم الاصطلاحي:

يعني مفهوم الاستشراق **orientalisme** : "علم الشرق أو علم العالم الشرقي". وعرفه البعض أيضاً بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته". وأحياناً يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيديولوجي بين الشرق والغرب". ومرةً يُراد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب".[2]

يرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يُعتبر تاريخاً أو جغرافياً فقط، ولا إنسانياً أو ثقافة فحسب، بل هو مجموع ذلك كله؛ فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري. ويرى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، بل "الشرق الهوية"، وهو محور

---

[1] المعجم الوسيط: ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص482

[2] محمد حسين هيكل، الاستشراق بين الأمس واليوم، القاهرة: دار المعارف، 1988، ص 15.

ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين.[1]

أما المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشراق بأنه: "نمطاً من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه". ويرى الدكتور رضوان السيد "أن الاستشراق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة، ولم يعد هناك عالم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الأوسط متباينة وغير علمية، فإن مفهوم الاستشراق صار اليوم كذلك".[2]

ويذكر المستشرق رودنسون أن كلمة "مستشرق" ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام 1779م، كما دخلت كلمة "الاستشراق" معجم الأكاديمية الفرنسية في عام 1838م، وفيه تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق. ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري على قاموس أكسفورد الجديد في تعريف المستشرق بأنه "من تبحر في لغات الشرق وآدابه". [3]

وقد ورد في موسوعة "لاروس" تعريف المستشرق في مادة "Orientaliste " بأنه "العالم المتضلع في معرفة الشرق وثقافته وآدابه".[4]

---

[1] الطيب بن إبراهيم، "الاستشراق: المفهوم والمنهج"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد 12، 1995، ص 45-46.

[2] إدوارد سعيد، الاستشراق (ترجمة كمال أبو ديب)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، ص 15. ورضوان السيد، "الاستشراق في الألفية الثالثة"، مجلة الفكر العربي، العدد 85، 2000، ص 63.

[3] مكسيم رودنسون: صورة العالم الإسلامي في أوربا، دار الطليعة، 1970، ص 74

[4] نظر مادة Orientalisteفي موسوعة لاروس الكبرى، باريس 1962م، Grad encyclopique paris. Lareusse

دوافع الاستشراق ومظاهر نشاطه

يتضح من تاريخ الاستشراق، في جذوره الضاربة في أعماق تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، وما حدث له من تطور وعلاقات متنوعة، جملة من الدوافع. ولكل دافع منها أهداف يسعى لتحقيقها. وقد اتخذ الاستشراق وسائل وأساليب كثيرة، وعمل في مجالات واسعة، ظهر من خلالها نشاط المستشرقين.[1]

أولاً: الدوافع الاستشراقية:

يمكن بيان هذه الدوافع وما ترمي إليه من أهداف على النحو الآتي: دوافع دينية، دوافع سياسية، دوافع اقتصادية، دوافع علمية. ولكل دافع من هذه الدوافع أهداف. وقد تنوعت كتابات الباحثين في تحديد هذه الدوافع والأهداف، واختلفت مسمياتها لديهم وتقسيماتهم لها. ومهما كان الأمر، فإن الدوافع تلتقي مع الأهداف، باعتبار أن الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغائية من العمل. والدافع الديني هو أهم هذه الدوافع، ثم يليه الدافع السياسي ثم الاقتصادي، ويأتي الدافع العلمي متأخراً وضئيلاً بالنسبة للدوافع الأخرى. وفيما يأتي توضيح لهذه الدوافع وأهدافها:[2]

1. الدافع الديني:

هو المحور الأساس الذي ارتكزت عليه الحركة الاستشراقية. وقد تبين من استعراض تاريخ الاستشراق بأنه نما وترعرع في أحضان الكنيسة وكانت بدايته على أيدي الرهبان النصارى، وأنه استمر في خدمة التنصير ولم ينفصل عنها إلا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وكان ذلك الانفصال شكلياً. أما واقع الأمر، فإنه يصعب التفريق بين المستشرق والمنصر حتى في العصر الحديث. وكان لهذا الدافع عدة أهداف من أبرزها:[3]

أ. حماية النصارى والشعوب التابعة للكنيسة من الدخول في الإسلام.

ب. الحد من انتشار الإسلام على حساب امتداد النصرانية ونشرها.

ج. التعرف على الإسلام ولغته بهدف تشكيك المسلمين به ومحاولة تنصيرهم.

د. معرفة اللغة العربية ودين الإسلام بهدف التعمق من خلالهما في العهد القديم (التوراة)، للاعتقاد بوجود تشابه بين اللغة العربية واللغة العبرية. بل ذهب أحد المستشرقين وهو **دوزي** إلى دعوى التشابه بين لغة اليهود ولغة قريش. ومن جهة ثانية، فإنهم يزعمون أن الإسلام مقتبس من اليهودية، فلزم لذلك أن يدرسوا اللغة العربية والإسلام للتعمق في العهد القديم باعتباره جزءاً من الكتاب

---

[1] فوك، تاريخ حركة الاستشراق (ترجمة عبد الله حشمت)، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1996، ص 15-20.

[2] عبد العزيز الدوري، "دوافع الاستشراق"، مجلة الأستاذ، بغداد، العدد 23، 1975، ص 55-56.

[3] محمد عمارة، الاستشراق في مواجهة الإسلام، القاهرة: دار الشروق، 1987، ص 40-41.

المقدس. وباعتبار الإسلام ولغته (العربية) يخدمان بطريق غير مباشر هذا الهدف الديني للاستشراق.[1]

وقد أكد هذا الهدف **شولتنس** بقوله: **"لم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها الأدبية أو للتعمق في تاريخ الإسلام أو لدرس تطور الأدب عند المسلمين، بل لاستعمالها وسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية"**.[2]

هـ. إشغال الشعوب الغربية عن الهجوم على الكنيسة ومعتقداتها بالهجوم على الإسلام، وتوجيه الأنظار إليه باعتباره عدواً للكنيسة والشعوب الغربية.[3]

2. الدافع السياسي:

ما برح هذا الدافع ملازماً للحركة الاستشراقية في كثير من مراحلها وأطوارها، إذ انبرى نفر من المستشرقين لتقديم دراسات تتناول الأمة الإسلامية جغرافياً وسياسياً. فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها. ومن خلال تاريخ الاستشراق تبين كذلك أن المسار العام للحركة الاستشراقية قد تلوّن في مرحلة الاستعمار بما يتناسب معها، وتكونت بسبب ذلك رابطة رسمية بين الاستشراق والاستعمار. وانصاع في هذا التيار عدد من المستشرقين الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكون عملهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه.[4]

وتبين أن الاستشراق خدم الاستعمار قبل دخوله بلاد المسلمين وأثناء دخوله وبعد خروجه، وجاء ليحقق في تلك المراحل الثلاث جملة من الأهداف السياسية من أبرزها:[5]

أ. تبرير نزعة الاستعمار ودعمها بواسطة الكشف للمستعمرين عن مواطن الضعف في المجتمعات الإسلامية لاستغلالها في السيطرة والنفوذ، والكشف عن مواطن القوة للعمل على إضعافها.

ب. إضعاف روح المقاومة لدى الشعوب التي سيطر عليها المستعمرون وإخضاعهم لسلطة المستعمر وثقافته وحضارته.

ج. تحقيق غايات سياسية متنوعة تفرضها المراحل المتعاقبة وما يحوط بها من ظروف وأوضاع مختلفة، ترمي في النهاية إلى احتواء الأمة الإسلامية من كل الجوانب، والتحكم في مصيرها، وفرض التبعية على أبنائها.

3. الدافع الاقتصادي:

من الدوافع لدراسات المستشرقين دافع اقتصادي يُعنى بوسائل كسب الأموال وتنميتها وفتح أسواق للصناعات الغربية في الشرق والحصول على المواد الخام منه. وهذه المصالح دفعت إلى دراسات

---

[1] نجيب العقيقي، المستشرقون، القاهرة: دار المعارف، 1965، ج1، ص 88-92.

[2] محمد عمارة، المرجع السابق، ص 44.

[3] نفسه ، ص 45.

[4] عناية الله إبراهيم، الاستشراق والاستعراب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001، ص 110-115.

[5] جمال الدين الرمادي، الاستشراق والمستشرقون، الرياض: مكتبة الرشد، 1993، ص 75-78.

عدة قام بها المستشرقون عن الشرق وأهله وعاداتهم وطبائعهم وطرائق معيشتهم. وأدى هذا الدافع من جانب آخر إلى البحث عن مصادر المواد الخام والطاقة ونحوها. وإذا كانت مثل هذه الدراسات الاقتصادية تهدف من حيث الأصل إلى الانتفاع بها في أسلوب التعامل مع شعوب العالم الإسلامي في مجالات التبادل التجاري والصناعي والتنمية دون ربط ذلك بالأغراض السياسية، إلا أن الاستشراق تجاوز ذلك كله. وقد عبر أحد المفكرين المسلمين عن ذلك بقوله: "ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية".[1]

4. الدافع العلمي:

لا يمكن للباحث في الاستشراق أن يتجاهل الدافع العلمي النزيه لدى نفر من المستشرقين، الذين توافروا على دراسة الإسلام ولغته بغية معرفة الحقيقة والتجرد من كل مؤثر. ولكن المناخ الاستشراقي العام في مسار حركته الطويلة لا يساعد هؤلاء على الظهور والانتشار. وأقصى ما يتحقق في هذا أن يبرز أفراد اتسمت دراساتهم بالتجرد، ووصلت إلى نتائج أقرب لحقيقة الإسلام وأكثر إنصافاً للمسلمين. وثمة أسباب جعلت هذا الدافع ضعيفاً وغير منتج في تاريخ الاستشراق والمستشرقين، ومن أبرزها:[2]

أ. العداء الشديد للإسلام الذي سيطر على الشعور العام في الغرب عبر مراحله التاريخية، وقد أسهم الاستشراق فيه بقدر كبير. فإذا ظهر بين الحين والآخر من ينصف الإسلام، فإن بحوثه لا تجد رواجاً لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند عامة الباحثين.

ب. عدم توافر الأموال اللازمة التي تحتاجها مثل تلك الدراسات والبحوث؛ لأن جهات الدعم (سواء كانت الكنيسة ومؤسساتها، أو الهيئات السياسية، أو المؤسسات الإعلامية) لا تبذل الأموال في العادة إلا لخدمة أهداف محددة تسعى لتشويه الإسلام وتسيء لأمته.

ج. تأثر المستشرق – مهما كان متجرداً ونزيهاً – ببيئته وثقافة مجتمعه ولغته الأصلية ومعطيات الحضارة الغربية. وعندما يدرس الإسلام، لا بد أن تعترض دراسته عقبات متنوعة تؤثر على منهجه وما يصل إليه من نتائج.

ولعل الهدف الغائي لهذا الدافع هو إشباع نهم علمي متجرد، وتحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات شخصية متميزة لها مبادئ وقيم وعادات وأعراف وتاريخ وعلم وحضارة.[3]

ومما ينبغي التفطن إليه هو ظهور بعض الدراسات الاستشراقية بمظهر علمي، ولكنها تتذرع به لأهداف مشبوهة. وعندئذ يخرج هذا عن الدافع العلمي؛ لأنه أصبح غاية أو وسيلة لغاية غير نزيهة. وقد ألمح إليه بعض الباحثين المسلمين في قوله: "ومهما كان حسن الظن متوافراً في كثير

---

[1] زكي مبارك، الاستشراق الألماني، القاهرة: مكتبة الآداب، 1955، ص 32.

[2] رودنسون، مكسيم، الاستشراق والدراسات الإسلامية (ترجمة نبيل الحفار)، بيروت: دار الطليعة، 1995، ص 55-58.

[3] إحسان عباس، "الدافع العلمي في الاستشراق"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 8، العدد 2، 1977، ص 10-11.

من تلك الدراسات، إلا أن ما كان منها نتيجة غاية علمية، كدراسة **بلاشير** لتاريخ الأدب العربي، خدمت بطريق مباشر أو غير مباشر غايات عاطفية وعصبية".[1]

[1] محمد عبد المنعم خفاجة، الاستشراق والدراسات الأدبية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1986، ص 68.

ثانياً: مظاهر النشاط الاستشراقي:

ظهر نشاط المستشرقين على مدى تاريخهم الطويل في مجالات مختلفة، واستخدموا وسائل متنوعة للوصول إلى أهدافهم. فقد أنشأوا المؤسسات التعليمية ذات المستوى العلمي المتميز من معاهد وأقسام علمية، ومراكز بحث في الجامعات الغربية وفي بعض جامعات الشرق الإسلامي، واهتموا بالمخطوطات الإسلامية وجلبوها من مظانها بطرق مشروعة وغير مشروعة.[1]

ثم خدموا هذه المخطوطات من نواحٍ فنية وعلمية، وأفادوا منها، وقاموا بالتحقيق والنشر والترجمة. وفي مقدمة ما قاموا بترجمته معاني القرآن الكريم إلى عدد من اللغات الأوروبية. وألفوا العديد من الكتب في العقيدة والشريعة واللغة والتاريخ والأدب وغيرها، وأعدوا بعض دوائر المعارف للعلوم الإسلامية، وأنجزوا بعض المعاجم اللغوية. وأسسوا كذلك جمعيات استشراقية وأصدروا المجلات والدوريات، وعقدوا عدداً من المؤتمرات الإقليمية والدولية. ويمكن بيان مظاهر هذا النشاط وما اتخذ من وسائل ومجالات فيما يأتي:[2]

- التدريس الجامعي
- جمع المخطوطات
- التحقيق والنشر
- الترجمة
- التأليف
- تأسيس الجمعيات
- إصدار المجلات
- عقد المؤتمرات

مدارس الاستشراق

المدرسة الفرنسية:

اهتمت الدراسات الاستشراقية بجميع الجوانب الحضارية والسياسية والفلسفية والدينية والاقتصادية، وكانت هناك توجهات خاصة لكل مدرسة من مدارس الاستشراق. فالاستشراق الفرنسي والهولندي مثلاً اهتم بالجوانب اللغوية والأدبية، واهتمت المدرسة الألمانية والفرنسية أيضاً بتحقيق ودراسة الموضوعات العلمية في الحضارة العربية، واهتم الاستشراق البريطاني والألماني بدراسة العقائد الإسلامية والدين الإسلامي، أما المدرسة الروسية فقد اهتمت بدراسة التراث.[3]

---

[1] نبيلة إبراهيم، مناهج المستشرقين في دراسة التراث العربي، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 1998، ص 120-125.

[2] عبد الله إبراهيم، "مؤسسات الاستشراق وإصداراتها"، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 215، 1996، ص 88-92.

[3] برنارد لويس، الإسلام والغرب (ترجمة كمال عبد اللطيف)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2002، ص 35-40.

يمثل الاستشراق الفرنسي لوحة كبيرة رسمت ملامحها في القرن السادس عشر. وقد لعبت فرنسا دوراً هاماً في الاستشراق منذ تأسيس مدرستي "ريمس" و"شارتر" لتدريس اللغة العربية في باريس، وكرسي للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون. ومنذ الثورة الفرنسية عام 1789، أُنشئت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية. ويمكننا اعتبار أن العقد الأخير من القرن الثامن عشر كان انطلاقة حقيقية للدراسات الشرقية الفرنسية. وبدا الاهتمام بالمؤلفات الشرقية واضحاً في المصنف الشهير (وصف مصر / Description de l'Egypte)، وهو جهد ضخم للعلماء المرافقين للحملة الفرنسية على مصر.[1]

ولم يكن أساتذة مدرسة اللغات الشرقية أساتذة فحسب، بل علماء حقيقيين، ومن أشهرهم: "سلفستر دي ساسي"، "جوبير"، "رينوه"، "ديفريمري". وقد دفع احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 نحو توسيع دائرة الاستشراق الفرنسي، ولا سيما العناية باللغة العربية. وتضاعف الأمر بعد احتلال تونس ومراكش، إذ صار من الحتمي التعرف على اللغة والتاريخ والديانة، فتُرجمت ونُشرت نصوص عربية كثيرة.[2]

وبدخول القرن العشرين، ظهر تحول واضح في الاستشراق الفرنسي؛ فقد سُمح بإنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس، وظهر أساتذة متميزون من أمثال: "لويس ماسينيون"، "وليم مارسيه"، "جورج مارسيه"، "جان داني". وتأسست بعد الحرب العالمية الثانية عدة كراسي لتدريس اللغة العربية والأدب والحضارة والتاريخ والفلسفة الإسلامية.[3]

من أهم أعلام المدرسة الفرنسية:

أرنست رينان: ولد عام 1822 في مقاطعة بريتاني بفرنسا، ووهب جل اهتمامه للبحث العلمي العقلي. وضع أرنست رينان كتاباً عن العملاق ابن رشد، وكيف أثرت فيه فلسفته. وقد كتب أرنست رينان بعض الافتراءات على الدين الإسلامي، مما جعل جمال الدين الأفغاني يتصدى له، مناقشاً ادعاءاته في كتابه: "الإسلام والعلم"، حيث رد بحجج علمية وأسانيد ثابتة جعلت المستشرق الفرنسي يقر آخر الأمر بضعف مصادره التي استقى منها معلوماته عن الإسلام.[4]

لويس ماسينيون (1883-1962): يُعتبر لويس ماسينيون من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم. فقد شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا. تعلم ماسينيون العربية والتركية والفارسية والألمانية والإنجليزية، وعني بالآثار القديمة، وشارك في التنقيب عنها في العراق (1907-1908). استهواه التصوف الإسلامي، فدرس "الحلاج" دراسة مستفيضة، ونشر "ديوان الحلاج" مع ترجمته إلى الفرنسية. أما بالنسبة للإسلام، فكان ماسينيون

---

[1] جيلبير ديلانوا، الاستشراق الفرنسي (ترجمة جورج كتورة)، بيروت: دار الطليعة، 1990، ص 25-30.

[2] المصدر نفسه، ص 40-45.

[3] (6) نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج2، ص 150-155.

[4] جمال الدين الأفغاني، الرد على الدهريين، تحقيق محمد عمارة، القاهرة: دار المعارف، 1971، ص 85-95.

يعتقد أنه تعبير حقيقي عن الإيمان التوحيدي المنحدر من إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام، وأن له رسالة روحية إيجابية.[1]

إيفارست ليفي بروفسال (Evariste Lévi-Provençal: 1894-1955): مستشرق فرنسي الأصل، كثير الاهتمام بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها. ولد وتعلم في الجزائر. عُين سنة 1920 مدرساً في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط، ثم مديراً له. تعاون مع محمد بن أبي شنب على تصنيف "المخطوطات العربية في خزانة الرباط". ومما نشر: "كتابات عربية في إسبانيا"، "إسبانيا المسلمة في القرن العاشر"، "الحضارة العربية في إسبانيا"، وغيرها من المؤلفات القيّمة.[2]

مكسيم رودنسون (M. Rodinson: 1915-2004): ولد رودنسون في 16 يناير 1915، من والد روسي وأم بولندية. نجح في الدخول إلى معهد اللغات الشرقية وهو في السابعة عشرة. كان شخصاً شديد التدقيق والتمحيص وموسوعياً كبيراً. من أهم أعماله كتاب "محمد" (1961)، وهو قراءة لحياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وساهم في تعديل القراءة الغربية للإسلام إلى حد ما.[3]

---

[1] (كامل مصطفى الشيبي، الصوفية والاستشراق، بيروت: دار الطليعة، 1983، ص 110-120.

[2] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 210-215.

[3] مكسيم رودنسون، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 7-12 (مقدمة المترجم).

المدرسة البريطانية

يُعد "أدلارد أوف باث" (1070-1135) من أوائل الإنجليز الذين تعلموا العربية، وقد عني بها عناية كبيرة، ودرس في صقلية والأندلس ومصر ولبنان وأنطاكية واليونان. ويرى البعض أن أبا الدراسات العربية في بريطانيا هو "وليم بدول" (William Bedwell: 1561-1632)، خريج جامعة كمبريدج وأستاذ العربية فيها، وقد كتب مقالة رائعة عن ضرورة دراسة العربية وأسهب في ذكر قيمتها العلمية والأدبية.[1]

من الشخصيات الهامة أيضاً "دانيال أوف مورلي"، الذي ذهب إلى إسبانيا ليبحث عمن هم أكثر حكمة من فلاسفة العالم. ومن الشخصيات البارزة "إدموند كاستل" (1606-1685)، وهو من أوائل أساتذة اللغة العربية في كمبريدج، ومن أشهر مؤلفاته "قاموس مجمل للغات السامية"، قضى في جمعه ثماني عشرة سنة، ونشر للمرة الأولى عام 1669م.[2]

بدأ الاهتمام بالدراسات الشرقية الأكاديمية في بريطانيا باكراً؛ وذلك عندما أسس السير "توماس آدمز" كرسي الدراسات العربية في كمبريدج عام 1632م، كما أسس كرسياً آخر في أكسفورد عام 1636م. وهناك ترابط واضح بين تزايد الاهتمام البريطاني بشبه الجزيرة الهندية وزيادة الاهتمام بالمنطقة العربية، وبالتالي الدراسات العربية. فمع انجلاء موقع الهند كتاج المستعمرات البريطانية، أصبح هدف لندن الاستراتيجي هو الحفاظ على خطوط الاتصالات مع ذلك التاج والطرق المؤدية إليه.[3]

احتلّت بريطانيا عملياً مناطق من الخليج وعدن، ثم لاحقاً مصر (1881-1882) للسيطرة على قناة السويس، وكذلك العراق. وأثناء كل هذا النشاط العسكري والسياسي، تطورت أجيال من المستشرقين البريطانيين الذين انخرطوا في جهد الإمبراطورية الاستعماري في المنطقة. ومن الأمثلة على ذلك: بروفيسور "بالمر"، الذي أتقن العربية البدوية والفارسية والهندوسية، وأرسله رئيس الوزراء البريطاني "جلادستون" في مهمة إلى بدو مصر، لكن كانت نهايته على يد البدو المصريين أنفسهم سنة 1882م.[4]

ثم ازدهرت الدراسات الاستشراقية، لا سيما بعد حملة نابليون على مصر عام 1798م. وقد تناول الاستشراق البريطاني سائر مناحي المعرفة الشرقية من لغات وآداب وعلوم وفنون وتاريخ وآثار. وكان على رأس المهتمين بالدراسات العربية "سيمون أوكلي" الذي تولى مهمة تدريس اللغة العربية في جامعة كمبريدج عام 1711، وألف كتابه الشهير "تاريخ المسلمين".[5]

يأتي من بعده "جورج سال" (1697-1736)، الذي ترجم القرآن الكريم، وأصبحت ترجمته المرجع الأساسي للترجمات الواردة بعدها لسنين عديدة. وقد خلفت هذه الترجمة حركة واسعة

---

[1] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 65-68.

[2] نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج2، ص 10-15.

[3] إدوارد سعيد، الاستشراق (ترجمة كمال أبو ديب)، مرجع سابق، ص 220-230.

[4] المصدر نفسه، ص 235-240.

[5] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الاستشراق، مرجع سابق، ص 150-155.

للتعرف على الثقافة الإسلامية. ومن بعده جاء "إدوارد وليم لين" (1801-1876)، صاحب كتاب "في أخلاق وعادات المصريين الحديثين"، وقد ترجم أيضاً "ألف ليلة وليلة" إلى الإنجليزية بدقة. ومن العلماء البارزين "وليم رايت" (1830-1889)، الذي درس اللغة العربية، وقام بتحقيق كتاب "الكامل للمبرد" و"رحلة ابن جبير".[1]

خلف رايت في كرسي أستاذية اللغة العربية بجامعة كمبردج "روبرتسون سمث" (1846-1894)، وهو مستشرق اسكتلندي درس العربية في جامعة "أدنبره"، وانتخب رئيساً للجنة دائرة المعارف البريطانية. ومن أهم أعماله: "أديان الساميين" و"أنساب العرب". ومن المستشرقين أيضاً "ريتشارد بيرتون" (1821-1890)، الذي نشر وصفاً للجزيرة العربية في كتابه "الحج إلى المدينة ومكة". وكذلك "توماس كارلايل" صاحب كتاب "الأبطال وعبادة الأبطال"، وقد وضع فيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في قمة الأبطال الذين غيروا مجرى التاريخ.[2]

بلغت الدراسات العربية في السنوات الأولى من القرن العشرين مرحلة متقدمة، وتبوأ السير توماس أرنولد (1864-1930) أول كرسي للأستاذية في قسم الدراسات العربية والإسلامية. ألف خلال عمله في الهند كتابه المشهور "الدعوة إلى الإسلام". والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام 1916م، وشارك في تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا.[3]

تصاعدت أهمية المستعربين البريطانيين في الربع الأول من القرن العشرين. وبرز بعد الحرب العالمية الثانية مستشرقون من أمثال: هاملتون جب (Sir Hamilton R. A. Gibb)، الذي يعتبر أبرز مستشرق بريطاني في القرن العشرين. ولد هاملتون جب في الإسكندرية في 2 يناير 1895م، والتحق بجامعة أدنبرة لدراسة اللغات السامية. انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد. من أبرز إنتاج جب: "الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى" سنة 1933م، "الاتجاهات الحديثة في الإسلام"، وله كتاب بعنوان "المحمدية" ثم أعاد نشره بعنوان "الإسلام".[4]

مونتجمري وات (Montgomery Watt): ولد في 14 مارس 1909م، والده القسيس "أندرو وات". درس في جامعات أدنبرة وأكسفورد وجينا بألمانيا. عمل وات رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبرة في الفترة من 1947 إلى 1979م. أصدر العديد من المؤلفات؛ من أشهرها: "محمد في مكة"، "محمد في المدينة"، "محمد نبي ورجل دولة"، "الفلسفة الإسلامية والعقيدة"، "الفكر السياسي الإسلامي"، "تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى"، "موجز تاريخ الإسلام" سنة 1995م.[5]

---

[1] جمال الدين الرمادي، الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص 115-118.

[2] عن إدوارد وليم رايت وغيره، انظر: برنارد لويس، الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص 60-65.

[3] نبيلة إبراهيم، مناهج المستشرقين، مرجع سابق، ص 88-92.

[4] محمد عمارة، الاستشراق في مواجهة الإسلام، مرجع سابق، ص 160-165.

[5] عبد العزيز الدوري، "هاملتون جب ودوره في الاستشراق"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد 18، 1980، ص 45-50.

ديفيد صموئيل مرجوليوث (Margoliouth: 1858-1940م): بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية، ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية. من أشهر مؤلفاته: ما كتبه في السيرة النبوية، وكتابه عن الإسلام، وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز. ولكن يُحسب له اهتمامه بالتراث العربي، كنشره لكتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، و"رسائل أبي العلاء المعري".[1]

ويمكن لنا إيجاز أهم خصائص المدرسة البريطانية في الآتي:

- يمتاز الاستشراق البريطاني بارتباطه بالحركة الاستعمارية، ومحاولة ترسيخ السياسات الاستعمارية الإنجليزية في الشرق.
- الاهتمام باللغة العربية نظراً لمصالح بريطانيا الاقتصادية والسياسية التي تربطها بالعالم العربي.
- تتميز هذه المدرسة بالتعدد والشمول في سائر الدراسات الشرقية: آداب، تاريخ، فلسفة، علوم، فنون وعمارة وآثار.
- تتميز أيضاً بالتخصصية الدقيقة، فكل مستشرق له تخصصه الدقيق في أحد مجالات المعرفة الشرقية.
- الاهتمام بدراسة المعارف الخاصة بالمنطقة الجغرافية التي تقع تحت قبضتها الاستعمارية (مصر وإفريقيا السوداء)، مع الإهمال الواضح لشمال أفريقيا نظراً لوقوعه تحت قبضة الاستعمار الفرنسي.[2]

المدرسة الروسية

نظراً لقرب روسيا النسبي من الشرق، فقد تمكنت من ربط أواصر العلاقات مع هذه المنطقة منذ زمن مبكر من التاريخ. وكان الاستشراق قوياً في روسيا منذ عهد بعيد؛ حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى زمن الدولة العباسية. ولما ضمت روسيا إليها بعض المناطق الإسلامية، ازداد الاهتمام بالإسلام والعالم الإسلامي. وحقيقة الأمر أن الصراع بين روسيا وتركيا كان صراعاً سياسياً حول شبه جزيرة القرم وتوسيع النفوذ السياسي على البحر الأسود، ولكن هذا الصراع لم يكن يوماً بدافع ديني.[3]

في هذا نرى أن العالم العربي الإسلامي كان خارج دائرة هذا الصراع، وبالتالي لم يكن هناك صدام بين روسيا والعرب المسلمين. ولذلك فإنه يمكننا القول: إن من أسباب تميز الاستشراق الروسي عن الاستشراق الأوروبي الغربي، أنه لم يصدر عن مثل أرضية العداء بين الغرب والشرق الإسلامي، وإنما كان هذا الاستشراق بدافع الفضول المعرفي الإنساني.[4]

---

[1] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 280-285.

[2] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الاستشراق، مرجع سابق، ص 420-425.

[3] ديلانوا، الاستشراق الفرنسي (مقارنة بالمدارس الأخرى)، مرجع سابق، ص 90-92.

[4] مكسيم رودنسون، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 135-140.

شجعت الحكومات الروسية في العهود المختلفة دراسة التراث العربي الإسلامي، وخاصة ذلك الذي يتعلق بالأقاليم الإسلامية الواقعة تحت سيطرة روسيا. ويقول المستشرق "بلوندين": "نحن الروس شرقيون بأنفسنا، وجزء من أراضينا موجود في آسيا، وثلثا حدودنا مع دول آسيوية".[1]

وكانت أول مطبعة عربية قد أسست عام 1722 في مدينة سامارا على الفولجا. وفي عام 1754 طرح لومونوسوف مسألة تأسيس كلية اللغات الشرقية، وفي عام 1763 صدرت أول ترجمة روسية لكتاب ألف ليلة وليلة. ويذكر المستشرق الروسي الشهير "أغناطيوس كراتشكوفسكي" أن تاريخ "الاستعراب" الروسي يبدأ من المرسوم الجامعي سنة 1804م؛ لأن هذا المرسوم أدخل تدريس اللغات الشرقية في برنامج المدارس العليا. أما في روسيا، فاللغات الشرقية في مفهوم الروس كانت لغات الشرق الإسلامي، وشغلت اللغة العربية المكانة الأولى.[2]

لقد كان للاستعراب الروسي منذ البداية مدرستان متمايزتان. ارتبطت إحداهما بوزارة الخارجية الروسية وخدمت القرار السياسي والمصالح الروسية الخارجية. والمدرسة الأخرى حملت الطابع المعرفي العلمي البحت، وحرص المستعربون فيها على استقلالية عملها. وقد نشأت هذه المدرسة في بطرسبورج حيث بذلت جهود كبيرة من قبل العلماء لتحقيق درجة من الاستقلال المهني.[3]

في بداية الاستعراب الروسي تمت الاستعانة بعلماء من الغرب. فعندما بدأ القيصر "بطرس الأول" الإصلاحات استعان بالخبرات الأوروبية. ولكن "الاستعراب" الروسي ما لبث أن أخذ بتكوين نفسه معتمداً على المصادر الشرقية الإسلامية مباشرة. وقد ساهم وجود المستعربين من العسكريين في القوقاز في ترجمة العديد من الآثار الأدبية العربية الإسلامية؛ إذ قام الجنرال "بوجوسلافسكي" بترجمة القرآن الكريم من العربية إلى الروسية مباشرة.[4]

من المستشرقين الروس: "كاظم بك" الذي دخل الإسلام، وقام بتحقيق مخطوطة اليعقوبي. ونجد أيضاً كريمسكي (1871-1941)، الذي تعلم العربية والفارسية، وأسس مكتبة كبرى في جامعة موسكو. ومن أشهر المستشرقين الروس: "كراتشكوفيسكي" (Kratchkovski)، الذي شغف منذ صغره بدراسة اللغة العربية، وذهب إلى الشرق فزار مصر وسوريا وفلسطين. وثمة رأي يقول: إنه كان مكتشف الأدب العربي الجديد بالنسبة للغرب.[5]

ويمكن لنا إيجاز أهم خصائص المدرسة الروسية في الآتي:

- الاهتمام بالأدب العربي بصفة خاصة.
- التذبذب الواضح بين الموضوعية الجادة والعداء السافر.
- الاستعانة بسكان آسيا الوسطى في مجال الاستشراق.

---

[1] عناية الله إبراهيم، الاستشراق والاستعراب، مرجع سابق، ص 200-202.

[2](16) أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ج1، ص 55-60.

[3] نبيلة إبراهيم، مناهج المستشرقين، مرجع سابق، ص 130-135.

[4] المصدر نفسه، ص 140-145.

[5] أغناطيوس كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص 70-75 (مقدمة المحقق).

- البعد عن الأغراض الدينية، بل بث الأفكار الاشتراكية ومحاولة إيجاد قدم لها في الشرق.
- تميزت بالاهتمام بتصنيف المخطوطات وفهرستها.

المحاضرة الثالثة : الوطن العربي من خلال الارشيف الأجنبي

لقد كان للوطن العربي دورا حضاريا وهذا من الناحية التجارية والسياسية ، وذلك منذ القدم حيث شكل بأطرافه همزة وصل بين ارجاء العالم القديم وكذا معبرا للطرق الرئيسية التي مثلت شريان التجارة القديمة والحديثة ، بحيث كان يربط بين بلدان آسيا من جهة والشرق الأقصى من جهة أخرى وبين الهند وبلاد ما بين النهرين والشام والشرق الأقصى من جهة أخرى و اوربا وافريقيا من الناحية الغربية كما كان يربط بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وهذا عبر جبل طارق والمعابر الأخرى التي شكلت روح التجارة الدولية والعلاقات الاقتصادية

إذ ورد ذكر الوطن العربي في المصادر القديمة وذكر العرب ودورهم في تنشيط التجارة خاصة بعد بسط نفوذهم على بلاد فارس ، حيث ورد في رحلة ابن فضلان : " في المناطق المجاورة لسواحله الشرقية والغربية وكان للعرب دور معروف في تجارة المنطقة منذ ان فرضوا نفوذهم على بلاد فارس في القرن التاسع الميلادي ....)

ولقد ضلوا على هذه الحال الى غاية القرن 16

تميزت الفترة الوسيطية بفرنسا بحضور نوعين من الأرشيفات :الأرشيفات الثابتة، والأرشيفات المتنقلة التي كانت ترافق الملوك والحكام .وقد كان لانه زام ملك فرنسا لوي فيليب في إحدى المعارك سنة 1194 م وضياع مجموعة من الوثائق حينها سببا في إعطاء أوامره بترك الأرشيف في باريس، ليصان من التلف والضياع إن بداية التدوين الحقيقي للحياة في فرنسا، من جوانبها المختلفة، ثقافياً ا وجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بدأت منذ اندلاع الثورة الفرنسية سنة 1789 بعدما أحدثت الجمعية العامة مركز الأرشيفات الوطنية بباريس . (les archives nationals) ومنذ سنة 1793 بدأ أرشيف وزارة الخارجية يتشكل بدوره عندما جرى فصل القنصليات عن البحرية وبعد صدور مرسوم الاستفادة من الوثائق الفرنسية سنة 1936 ، وتأسيس المجلس الدولي للأ رشيف بالعاصمة باريس سنة 1948 تم فتح أغلب الأرشيفات الفرنسية في ثمانينات وتسعينيات القرن الماضي في وجه العموم.

أ/- .الجزائر من خلال الارشيف الفرنسي :

ارشيف الجزائر في مركز ما وراء البحار : المتواجد بمدينة أكس ان بروفانس (جنوب فرنسا)

هو احد المراكز الخمسة المكونة للأرشيف الوطني الفرنسي ، وقد كلف هذا المركز بحفظ وتثمين الوثائق المتعلقة بالوجود الفرنسي فيما وراء البحار ، ومع بداية الستينات من القرن العشرين قرر

"اندري شانسون " « André Chanson » المدير العام لأرشيف فرنسا بإنشاء مركز ارشيف بمدينة اكس ان بروفانس لحفظ الارشيف الذي تم ترحيله ونقله من البلدان التي كانت تخضع للاستعمار الفرنسي ، وهذا لقرب اكس ان بروفانس من مدينة مرسيليا " بوابة الشرق ونقطة انطلاق التاريخ الاستعماري " على حد قوله .

وضمن ارصدة الارشيف لهذه البلدان فان ارشيف الجزائر لوحده يقدر بـ 7.800 م خطي (7.800 m /1) وهو ما يعادل 10 % من الارشيف العام المتواجد بالجزائر حتى عام 1962 ، لان فرنسا تدعي انها لم ترحل من الجزائر سوى ارشيف السيادة ، اي الوثائق التي لها علاقة بـ : الشرطة – مصالح الامن – الشؤون العسكرية – الدبلوماسية – السياسة ، وكذلك الوثائق التي تسمح لفرنسا بمواجهة التزاماتها الحالية .

ويمكننا بصفة عامة حصر ارشيف ما وراء البحار في المجالات التالية :

الارشيف التاريخي للاستعمار الفرنسي

ارشيف الشرطة

الارشيف السياسي والإداري

ارشيف الحكومة العامة .

ارشيف العمالات . (بن داهة، 2015، الصفحات 29-30).

ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية - كي دور سي - : تابع لوزارة الخارجية الفرنسية كي دورسي)Qui d ' Orsay(في باريس، فتح أبوابه للعموم سنة 2009 ، يعتبر ارشيف كي دور سي من اهم محفوظات وثائق تاريخ الجزائر المعاصر ، ذلك ان اهم محتوياته تتضمن اخبار بلدان افريقيا الشمالية السياسية (نشاطات الاحزاب) والدعائية والإعلامية والنشاطات الصحفية والمسائل الادارية والجمعيات السرية والإحصاءات الديمغرافية وقوائم الاسرى الشمال الافريقيين اثناء الحرب العالمية الثانية ،اما الوثائق المتعلقة بالجزائر فتتناول المسائل السياسية الداخلية والإعلامية مثل احداث (8 نوفمبر 1942) والتحركات الاسبانية اثناء الحرب العالمية الثانية في ناحية الغرب الجزائري ، كما ان هذه الوثائق تهتم بالمسائل الادارية والقضايا التربوية وأخبار الطلبة الجزائريين اثناء الحرب العالمية الثانية ومسائل تطبيق قوانين التجنيس المتعلقة بيهود الجزائر واخرى تخص الجنوب الجزائري والعلاقة الكائنة بين يهود الجزائر ويهود تونس ، كما تحتوي هذه الوثائق على المراسلات السياسية للحكومة العامة الفرنسية بالجزائر بين سنوات 1918و 1938 ، وتقارير حول الوضع في الجزائر بين سنوات 1919 و 1926 وتشمل المسائل السياسية والحياة الاقتصادية والزراعية والاعلامية ، وهي تقارير نصف شهرية واخرى شهرية مفصلة عن الوضع ، الى غير ذلك من المواضيع المهمة الخاصة بالجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي والتي يمكن للباحث ان يتوسع فيها اكثر . (يوسف، 1996، الصفحات 202-203)

ب/- المغرب الاقصى من خلال الارشيف الفرنسي :

يصنف الأرشيف عموما إلى صنفين، هما :الأرشيف العام ويضم وثائق الدولة وهيئاتها

ومؤسساتها العمومية وجماعاتها المحلية، والأرشيف الخاص، الذي يتكون من وثائق الأشخاص أو العائلات أو المؤسسات والمنظمات غير العمومية . 6 ويقسم الأرشيف الفرنسي إلى أصناف متعددة تبعا لتعدد مراكز الأرشيف وتخصص كل واد منها، فهناك:

مركز الارشيف لما وراء البحارCentre des Archives outre mer (

ورغم أن أغلب وثائق هذا المركز الأرشيفي مخصصة للجزائر فإننا نجد به مجموعة من المحافظ عن مغرب القرن التاسع عشر ومغرب الحماية ضمن ثلاث مجموعات كبرى يرمز لها ب H 30 : و H 31 و H 32 تضم معلومات وافرة عن ثروات بعض الأسر مثل الوزانيين، وعن قضايا السلاح والتسلح والحدود المغربية الجزائرية واللصوصية والتهريب بالمغرب ووضعية- الجزائريين بالمغرب، والمحادثات المغربية الفرنسية والمعاهدات والأوفاق التي وقعها الطرفان بين سنتي- 1844و 1926 المجموعة) H 30 :، بالإضافة إلى تقارير حول بعض القبائل وعن الوطنية المغربية خصوصا مع بداية الثلاثينيات(مثلا المحفظة رقم .) 1 31H :واخيرا المجموعةH 32 بمحفظاتها العشرة التي تحوي تقارير سرية كانت تصدرها إدارة الشؤون الأهلية عن الوضع السياسي

والعسكري والاقتصادي بالمنطقتين الفرنسية والاسباني

مركز أرشيف وزارة الحربية بقصر فانسن بباريس :هو عبارة عن قصر ضخم يرجع تاريخ

تأسيسه إلى القرن الرابع عشر الميلادي .يقع في الضاحية الجنوبية الشرقية لباريس على بعد خمس كيلومترات تقريبا ، يحتوي على مجموعتين هامتين من الوثائق تغطي كل منهما الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1877 و .1960 تضم المجموعة الأولى 3H حوالي ثلاثة آلاف محفظة ضمنها ألف محفظة خاصة بمكاتب الشؤون الأهلية 12 ، في حين تضم المجموعة الثانية- Sous serie عشرين محفظة، فضلا عن سلاسل مكملة تحت رموز. B, E, EM, K, N 13 , : ولعل أهم ما تتميز به هذه الوثائق هو صدورها عن مختلف الأجهزة العسكرية، ونذكر على سبيل المثال:

التقارير العسكرية المفصلة :هي تقارير يومية وأسبوعية وشهرية عن سير العمليات

العسكرية البرية والجوية والبحرية في مختلف جبهات القتال بالمغرب في تا زة وأحوازها والأطلس المتوسط والصغير والكبير(مثلا الصناديق رقم 3H586 - 596 :و .) 3H1556 ونجد كذلك تقارير مفصلة عن الوضع السياسي والعسكري وتطوراته خلال حرب الريف ، وعن قضية الأسرى وشخصية الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وكذا التعليمات القيادية والتعزيزات البشرية والتقنية التي كانت تفد من المتربول(المحافظ.(3H597 – 3H601 :

المنوغرافيات :هي منوغرافيات دقيقة ومركزة أنجزها ضباط الشؤون الأهلية في شكل

بطائق القبائل)Fiches de tribus(تحت إشراف وتوجيه من نخبة الجيش الفرنسي عن

"بلاد السبة "أو مناطق العصيان (Les Regions dissidents) حول فاس ومكناس وتاز وغيرها من المناطق،

مركز أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية" لاكرنوف "بباريس :، يحتوي هذا الأرشيف عن المغرب صناديق وملفات(تحت جرد رقم CPCOM 179 :، و) CPCOM 73 تؤرخ لوضعية المغرب في علاقته مع فرنسا من أواخر القرن التاسع عشر) 1897 (إلى حدود فترة الاستقلال، وأغلب وثائقها تؤرخ للعلاقات التجارية المغربية الأجنبية وتنظيم التجارة في المنطقة الشمالية والجنوبية، وكل- ما له علاقة بالمحميين والتجنيس، والشخصيات المقيمية والدبلوماسية والقناصل الفرنسيين والأجانب والأطماع والمصالح الاسبانية والانجليزية والألمانية في المغرب والشؤون المالية للمغرب(ميزانية، قروض، جمارك، ضرائب صرف، أبناك)..والقضائية والحالة المدنية والمسائل العقارية، والصحافة والأوضاع العسكرية.

مركز الأرشيف الديبلوماسي في مدينة نانط غرب فرنسا :وضعت به وثائق وزارة

الخارجية الفرنسية منذ سنة 1966 ، وفتح أب وابه للعموم سنة 29 1987 ، يغلب على الوثائق

المحفوظة به الطابع الدبلوماسي أي كل الوثائق المستقدمة من الممثليات الفرنسية في الخارج ولدى المنظمات الدولية فضلا عن الأرشيف الخاص بلبنان وسورية وبلدان شمال افريقيا . 30 ويضم هذا الأرشيف 12 ألف محفظة عن المغرب والحرب العالمية الأولى 31 ، وتقع الوثائق المتعلقة بالمغرب به في أكثر من عشرين فهرسا (Inventaire) تقسم حسب مؤسسات الحماية التي صدرت عنها الوثائق إلى أرشيف مصالح الإدارة المركزية وأرشيف المصالح الإقليمية التابعة لها

4/-الجزائر من خلال الارشيف الاسباني.:

-مراكز الأرشيف الإسباني:

عرفت اسبانيا ومنذ زمن قديم بعنايتها الكبيرة بالوثائق ورعايتها البالغة للارشيفات التاريخية ومنذ البداية عملت على فصل الارشيف الاداري عن الارشيف التاريخي ، نظرا لكونها من اسبق الدول الاوربية واعرقها في تأسيس امبراطورية كبيرة ، وارشيفاتها تضم وثائق تاريخية ذات اهمية بالغة ، تتعلق بالعديد من الدول الاوربية والممالك الاسلامية فهي تمتلك وثائق عن الاستكشافات الجغرافية والحركات الدينية وعن نشاط الكنيسة الكاثوليكية وعن الحضارة الاندلسية وهذه كلها مودعة في ارشيفاتها المتنوعة التي يمكن تقسيمها الى :

(1) الارشيفات الحكومية

(2) أرشيفات الاقاليم -

(3) ارشيفات الوحدات الادارية الاخرى

ان اقدم دار للوثائق في اسبانيا هي دار وثائق سمنكاس التي انشئت في جزء من حصن قديم عام 1542من قبل الملك شـ ارل الخامس وكان هذا الارشيف تابعا لامارة قشتالة (كاستيله وقد عين الملك (شارل) اول امين لدار الوثائق هذه ، على الرغم من ان الاوامر الصادرة بجمع الوثائق الخاصة بالتاج ، كانت قبل ذلك ، اي في اوائل القرن السادس عشر ، وذلك بمقتضى الأمر الملكي الصادر سنة 1509 .

وفي 1858/07/17 صدر مرسوم لتأسيس دور الوثائق الاخرى المنتشرة في المدن والاقاليم الاسبانية ، وكانت (المدرسة العليا للوثائق) Escuela Suprior de Diplomatica قد اسست قبل ذلك ، أي في عام 1856 لتدريس العلوم الوثائقية وعلم الدبلوماتيك والنظم الادارية في العصور الوسطى والحديثة

وفي ما يلي اهم مراكز الارشيف التي تتوافر على مادة ارشيفية هائلة خاصة بتاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة والمعاصرة

أرشيف سيمانكس : عمل على تأسيسه الملك كارلوس الخامس وأنهاه ابنه فيليب الثاني يجمع كل الوثائق الناتجة عن الهيئات الإدارية للملكية الإسبانية منذ عمد الملوك الكاثوليك (1475)إلى حلول النظام الليبرالي سنة(1834)، وهذا التاريخ فتح أبواب البحث لكافة الباحثين في هذا الأرشيف، يضم أكبر مجموعة متجانسة ومتكاملة لتاريخ إسبانيا.

. الأرشيف التاريخي الوطني

أنشأ بموجب الأمر الملكي الصادرين مارس 1866 ينقسم الأرشيف إلى

أربعة أقسام من بينها قسم الدولة الذي يشمل الوثائق المتعلقة بالعلاقات الخارجية مع دول المغرب العربي، وهذا القسم بدوره ينقسم إلى أربعة أقسام فرعية تتضمن مسائل تخص دول المغرب وهي المراسلات مع السفارات والبعثات الدبلوماسية والسياسية والمعاهدات والاتفاقيات1 .

.- **أرشيف الوزارة الخارجية مدريد** : يهتم بتاريخ العلاقات الإسبانية الدولية ل 200 سنة الماضية صنف

سنة (1932)إلى جزأين، الجزء الأول هو الأرشيف التاريخي لغاية1931 والجزء الثاني هو الأرشيف المجدد من سنة 1931 إلى الآن إذ تم نقل هذاالأرشيف إلى مركز أرشيف ألكلادي إينارس سنة 1965

يحتوي الأرشيف التاريخي الذي تم نقله على وثائق عبارة عن مراسلات مع قنصليات وهران والجزائر وسيدي بلعباس الخاصة بالفترة(1850- 1932) والمعاهدات المبرمة مع دول المغرب منذ 1764 الى سنة 1930 ، كما ويحتوي على3 آلاف خريطة للمغرب والجزائر وليبيا في القرنين) 19و20 ، أما الأرشيف المجدد فجزء منه يهتم بالجزائر بعد الاستقلال بعد علاقات دبلوماسية كاملة مع الجزائر.

*أرشيف آلكالادي إينارس : تأسس في 1976 وهو من أهم المراكز الأرشيفية في العالم، فتتصدر الجزائر الدول المغاربية والتي يرجع تاريخها منذ الإيالة مرورا بالاستعمار ثم الاستقلال ، حيث يحتوي على 249 رزمة ووثائق ما بين سنتي 1803 الى غاية الاستقلال 1970

المكتبة الوطنية الإسبانية مدريد : تأسست في عهد فيليب الخامس أواخر سنة 1711 وفتحت أبوابها في مارس 1712 باسم المكتبة الملكية وعام 1836 خرجت المكتبة عن التاج الملكي وأصبحت تابعة لوزارة الداخلية، وعرفت من حينها بالمكتبة الوطنية تحفظ وتستقبل المكتبة بنسخ عن كل الكتب المنشورة في إسبانيا وتزخر بمجموعة متميزة من المخطوطات والمطبوعات والرسومات والخرائط والصور، وهي تتوفر على مادة أرشيفية هامة متعلقة بتاريخ الجزائر من القرن 19 إلى القرن 20

*المكتبة الملكية للتاريخ : بدأت الأكاديمية كتجمع أدبي لبعض الأصدقاء في 1735 وبموجب المرسوم الملكي الصادر عن فيليب الخامس في 17 جوان 1738 أصبحت تعرف بالأكاديمية الملكية للتاريخ، وهي المكتبات الفنية لمادتها المعرفية التاريخية، كما تتوفر على أرشيف لتاريخ الجزائر الحديث.

ثالثا : الأرشيف البرتغالي في كتابة تاريخ المغرب '

أرشيف القنصلية البرتغالية بطنجة .

وأهمها :

1- مكتبة طوري دو طومبو بلشبونة : التي تضم مراسلات القناصل البرتغاليين إلى كتابة

الدولة في الشؤون الخارجية خلال الفترة الممتدة من سنة 1787 إلى سنة 1844.

2- مكتبة أكاديمية العلوم بلشبونة : وبها مجموعة من الوثائق العربية التي تتخللها أحيانا وثائق برتغالية ، وتوجد بينها بعض الوثائق الخاصة بقنصل البندقية ، وهي تغطي

3- أرشيف السفارة البرتغالية بالرباط : وقد تم نقله مؤخرا على البرتغال ، ويضم مجموعة من السجلات التي تضم نسخا من المراسلات والوثائق المتعلقة بالفترة الممتدة من 4700 صفحة . سنة 1824 إلى 1904. وقد اطلعت منه على ما يزيد على 20 سجلا يزيد عدد صفحاتها على 4- مكتبة أجودا (Ajudh) وتتضمن على الخصوص الاتفاقيات والمراسلات الرسمية ويتكون أرشيف القنصلية البرتغالية بطنجة أساسا من المراسلات المتبادلة بين القناصل البرتغاليين ، وبين المخزن المغربي من جهة / ووزارة الخارجية البرتغالية من جهة ثانية ، خلال الحقبة الممتدة - كما رأينا- من الربع الأخير من القرن 18 إلى مستهل هذا القرن ، حيث تعاقب على منصب القنصلية عدد من أفراد عائلة كولاصو ، وهم كالتالي : جورج كولاصو من 1773 إلى 1783 .

ابنه جورد بيدرو كولاصو من 1783 إلى 1816 . ابنه جورج جوزي من 1816 إلى 1841 . ابنه جورج ريموندو من 1841 إلى 1856 . أخوه جوزيف دانييل كولاصو إلى نهاية القرن . أما

مضامين هذه الوثائق فتمتاز بالتنوع . ويمكن أن نلخص أهم الموضوعات التي تطرقت إليها فيما يلي :

1 : - العلاقات التجارية : حيث تتضمن العديد من المعلومات عن البضائع التي تم التبادل فيها ، والرسوم الجمركية والأسعار ، والمشاكل المترتبة عن الاستيراد والتصدير وحجم الرواج بالموانئ ... إلخ .

2- العلاقات الدبلوماسية : حيث نجد بها عددا من المعلومات المفصلة عن الهدايا والسفارات والمفاوضات والامتيازات الممنوحة من الطرفين ، ومساعي القنصل المستمرة لحل ما يطرأ من مشاكل ، والخدمات التي كان يقدمها للسلطان ولرجال المخزن المغربي .

3- الأخبار والمعلومات : سواء منها تلك المتعلقة بالمغرب ، من أحداث سياسية كالثورات والحروب بين المتنافسين على السلطة ، والأحوال المناخية من تساقطات أو جفاف ، وما يترتب عنها من توفر أو خصاص في المواشي والحبوب ، وكذلك المجاعات وغلاء الأسعار وتعذر التصدير وأحوال الصحة العمومية وما يطرأ من أوبئة أو أمراض .

إضافة إلى المعلومات الأخرى المتعلقة بتحركات الأساطيل والقرصنة ، وعلاقات المغرب مع الدول الأخرى..الخ .

المحاضرة الرابعة : الرحلة الغربية ودورها في كتابة تاريخ الوطن العربي

لا بد وأن يكون لكل مسافر أو رحالة قصص وطرائف، غرائب وعجائب عاشها في فترة الترحال، وذلك لأن اختلاف الثقافات والأصول يجلعه يعايش كل لحظة تمر عليه ويمعن النظر فيها، لأن كل ما يراه يكاد يكون جديدا عليه، وكأنه ولد اليوم ولا يعرف أي شيء في هذه البيئة الاجتماعية أو تلك. وهذا حال من زار بلاد العرب من غير العرب

جاب الرحالة الغرب ديار العرب لأسباب ودوافع متنوعة، وبغض النظر عن أهدافهم من الترحال، نجد من بينهم رجال علم وأدب، كما نجد العسكريين وذوي المهام الخاصة. في آثارهم المكتوبة كثيرا ما نجد الوصف الدقيق للسكان والعمران، والحيوان والنبات في البيئة العربية، وعلى أيديهم تم اكتشاف أهم الكنوز الأثرية في بلادنا.

ب- تعريف الرحلة اصطلاحا :

الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه ، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وإنجاز الرحلة- كتابتها -يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة، والرحلة بهذا المعنى أي بما هي كتابة وخطاب حال اشتغال واهتمام الباحثين بها

ج- مفهوم أدب الرحلة:

يسمى الأدب المكتوب من وحي الانتقال من مكان إلى مكان آخر، أدب الرحلة، أو أدب الرحلات(Littérature de voyages) بالفرنسية، و(Travel litterature) بالإنجليزية وهو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته، وفي بلاد مختلفة. وقد يتعرض لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، تسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته، مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد... ويعتبر أدب الرحلات ـ إلى جانب قيمته الترفيهية والأدبية أحياناً ـ مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة

ويقوم أدب الرحلة عل عنصرين أساسيين لا يستغني أحدهما عن الآخر، نص أدبي لا يخلو من الخيال، ورحلة واقعية. ويقتضي ذلك أن تطفو أدبية النص ـ وما تستلزمه من حضور تعبيري يقطر سرداً ووصفاً وبهاءً لغوياً ـ على سطح مادة رحلية واقعية حدثت بالفعل في الواقع المكاني للكاتب.

دوافع وأهداف الرحالة . وتنقسم دوافع الرحالة كالتالي :

الهدف الديني:
خرجت حركة الاستشراق وحركة الكشوف الجغرافية بمباركة من الكنيسة، وكان الهدف الديني وراء إنشاء
أقسام اللغة العربية وكراسيها في جامعات أوروبا عام 1042 ه 1632 /م، ومُعظم من دخل الوطن العربي دخل
لأغراض دينية تتمثل في تبشير وتنصير المسلمين مثل رحلة الأب بياردان، التي كلف بها في شمال إفريقيا، حيث تمكنمن الإبحار إلى الجزائر وتحرير اثنين وأربعين أسيرا عاد بهم إلى فرنسا وتمكن من جمع مادته الأولية من المعلومات لكتابه المعنون ب ":تاريخ بربارياوقراصنتها"، 5 الذي نشر بباريس سنة1637 م، إضافة إلى رجل الدين الاسباني فرانثيسكو خيمينث دي ثيسنيروس الذي كان مولعا بجمع المعلومات وتسجيلها فحاول بناء مستشفى في وهران فرفض الباي ذلك، فتحول إلى تونس حيث لم يجد الصعوبة التي وجدها في الجزائر، ويومياته محفوظة بمكتبة الأكاديمية الملكية -للتاريخ بمدريد وتتكون من سبع مجلدات، ثلاثة منها تخص رحلته إلى الجزائر من 1717 - 1720م.
كذلك رحلة لودفيكو دي فارثيما Lodvico divar thema (عام **909**ه 1503 /م الذي تظاهر بالإسلام لخدمة البرتغاليين، ودخل مكة المكرمة والمدينة المنورة، وألف عن ذلك كتاب ضم فيه كل مشاهداته وأورد فيه تحامله على الإسلام والمسلمين وتعصبه لملته وكانت انتصارات البرتغاليين واكتشافهم رأس الرجاء الصالح (عام 904 ه 1498 / م دافعا لمهاجمة ديار الإسلام ، كمحاولة الأميرال الفونسو دي البوكيرك (25) Albuquerque الذي دخل البحر الأحمر لاحتلال المدينة المنورة والاستيلاء على

جسد النبي(صلى الله عليه وسلم)لبيت المقدس وجعل فديته ثمنا ، ومحاولته تغيير مجرى النيل إلى بلاد الحبشة مما يجلب الفقر إلى بلاد مصر بغية تحطيمها اقتصاديا.

والبرتغالي جريجوريو داجودرا ((Gregorio Dagudra الذي حاول دخول مكة المكرمة والمدينة المنورة لكنه
سجن في عدن حتى عام 922 ه 1516 /م ليعلن إسلامه ويطلق سراحه ليصحب حاكم عدن للحج، وفي المدينة المنورة يعلن تعصبه المسيحي، وارتشيبالد فوردر (Archibald Forder (الرحالة البريطاني الذي دعا سكان شبه الجزيرة العربية وبكل صراحة إلى المسيحية ولم يكتف بذلك بل حاول بيعهم نسخا من الإنجيل
ويظهر الهدف السياسي وبوضوح في التنصير(التبشير)والدعوة إلى المسيحية في رحلة وليم جيفورد بالجريف
(William Gifford Palgrave)الذي تخلى عن ديانته اليهودية إلى المسيحية، وبدأ يتنقل بين البلدان العربية للعمل على تنصير العرب لصالح جماعته الدينية، وحصل على كافة الإمكانات والإعانات لتحقيق ذلك، وسافر إلى القاهرة ثم إلى معان)ومنها بدأ في عبور شبه الجزيرة العربية في مهمة سرية تحت اسم سليم أبو محمد إلياس
وتعد رحلة بالجريف من الرحلات المهمة والمثيرة لشبه لجزيرة العربية ، ودون بالجريف رحلته بعنوان:
(مذكرات رحلة كاملة في وسط الجزيرة العربية وشرقها

كما من الدوافع الدينية فهناك الرغبة في الحج ، وزيارة الأماكن التي ارتبطت بسيرة المسيح ، عليه السلام ، وفي طليعة الحجاج إلى الأراضي المقدسة ، يبرز الأب ماري جوزف دي جيرامب M. J. de Geramb الذي صرح « بأن الهدف من رحلته إلى الشرق كان زيارة الأماكن المقدسة للصلاة والاستغفاره

كذلك وجدت رغبة قوية لدى المسيحيين الأوروبيين في الوقوف على أوضاع إخوانهم المسيحيين الشرقيين خاصة عندما خضعوا لسيطرة قوى سياسية غير مسيحية مثل القوى الإسلامية ، ولم يكن من اليسير معرفة ذلك دون الارتحال إلى هناك ومتابعة أوضاعهم عن كثب . (1) ومن المعروف أن الدافع الأساسي لحركة الكشوف الجغرافية لم يكن اقتصادياً بحتاً ، وإنما كان دينياً أيضاً على أساس أنها تتيح فرصة لتحطيم سيطرة المسلمين على طرق التجارة مع الشرق ، والعمل على كسب أراض وميادين جديدة للمسيحية . (2) وهناك الرحالة المبشرون بالمسيحية المشحونين بالتعاطف الديني ، كنمط جديد من أنماط الرحالة ، جاؤوا وأهدافهم معلنة ، فقد احتلت النزعة التبشيرية على الدوام مكانة مركزية في الأيديولوجيا المسيحية ، أما سبب الاختيار فلخصه المبشر صموئيل زويمر بقوله : « إن من بين الدوافع إلى العمل في المنطقة ، الأسباب التاريخية ، فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية ، التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا ، في الخمسين سنة الأخيرة ، أن المسيحية كانت منتشرة فيها ، في بداية عهدها ..)

ترجمات معاني القرآن الكريم : كان التبشير بالمسيحية هو الدافع الحقيقي وراء الاهتمام بترجمة معاني القرآن واللغة العربية ، فكلما تلاشي الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوة السلاح على المسلمين ، بدأ التفكير في سبيل آخر ، وهنا أدرك القسيس بطرس رئيس دير كلوني (ت 1157

م) ، أنه لا سبيل إلى محاربة الإسلام ، إلا بمعرفة لغـة المسلمين وديانتهم ، فوضع خطة عمل لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية ، وترجم بعض الكتب في التاريخ الإسلامي ، وعلم الكلام . فالنضال ضد الإسلام عن طريق الوعظ والإرشاد والحوارات الدينية تتطلب الاهتمام بتعاليم الخصم ، والوقوف على حججه ، ولهذا حرصت القيادات الروحية على خلق كوكبة متعلمة تتعرف على اللغة العربية وأسرار الديانة الإسلامية . وقد أثرت حركة الترجمات هذه على الترحـال إلى الشرق ، فدفعت الكثير من الرحالة لأجل تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي لدحض ذلك الدين المحمدي

الدوافع الاقتصادية :

وفي طليعتها السيطرة الاقتصادية ، والبحث عن الأسواق الجديدة لتصريف البضائع المصنوعة ، والحصول على المواد الخام بأرخص الأثمـان ، يضـاف إلى ذلـك شهوة الاستيلاء والتوسع والسيطرة ، وقد بلغ التنافس بين الدول الأوروبيـة حداً دفع البعض منها إلى تجنيد كل ما لديها من إمكانيات مادية وأدبية لتحقيق ذلك ، فأخذت كل جهة تقيم علاقات مع حكام البلاد العربية ، واستطاع بعض التجار الأوروبيين إنشاء مراكز تجارية على بعض السواحل المدن العربية ثم عمدت تلك الدول إلى إرسال الرحالة لأغراض تجارية، ولإعداد تقارير عن الوضع ألاقتصادي وحالة الموانئ العربية، فالفرنسي (لوران دارفيو) قام برحلة إلى الشرق على رأس بعثة تجارية أوفدها الملك لويس الرابع عشر) ، وقام بالجريف برحلته إلى نجد والأحساء بتكليف من نابليون . فكانت بعثة الهولندي جون جورديان (46) (John Guderian (في بداية القرن السابع عش ر إلى صنعاء لإقناع الباشا التركي في صنعاء لتخفيض الضرائب الجمركية وقام جورديان بوصف ما شاهده أثناء زيارته لليمن، ثم قام القبطان الهولندي بيتر فان دي بروك peter van de (broeckeبزيارة لعدنمن قبل الحاكم العام الهولندي، وكتب مشاهداته في اليمن ليعود مرة أخرى لليمن لإنشاء مركز تجاري في مخا) 50 (، وإقامة علاقات مع السلطات في عام 1025ه 1616 / م وأرسلت شركة الهند البريطانية الرحالة البريطاني إلكسندر شاربي Alexander Sharpey عام 1018 ه 1609 /م إلى عدن والبحر الأحمر، كما دخلت فرنسا لتنافس بريطانيا في تجارة البن فأرسلت عام 1018 ه 1609 /م هنري ميدلتون (53) (Henry Middleton (إلى عدن والمخا وكتب مشاهداته عن اليمن، ولم تقف فرنسا بمعزل عن البن وتجارته فسارعت لتأسيس شركة استيراد للبن من اليمن وأرسلت مبعوثين في عام 1124 ه 1712 /م هما الضابط الفرنس ي دي لاجريلودبير (54) (Major de la Grelaudiere (والجراح باربيير 55) (Barbier ((وقد قدما تقريرًا إلى ملك فرنسا .

الدوافع العلمية

قامت نهضة أوروبا على العلم والبحث عن المعرفة والاكتشاف، وقاموا بدراسة أمهات لغات الشرق

الفارسية والتركية والعربية والعبرية والآرامية والسريانية والأرمنية والحبشية وغيرها فتعملوها، وصنفوا المؤلفات في معاجمها ولهجاتها وتاريخها، وأتقنوا عدد من هذه اللغات.

وكانت تدور في أذهان الأوروبيين فكرة البحث والتقص ي لأجل العلم فأرسلوا الرحالة يجوبون أقطار الوطن العربي ، فالترحال وسيلة لجمع المعلومات الجغرافية ودراسة تاريخ المنطقة وعاداتها وتقاليدها وأحوالها
المعيشية والسياسية وأفكارها وحضارتها، وثقافتها لإفادة المختصين بهذه النواحي لرسم السياسة المناسبة تجاه هذه البلدان
وتعتبر رحلة كارستن نيبور (Carsten Neibuher) التي نشرت سنة 1778 م في مجلدين تحت عنوان: "**رحلة إلى البلاد العربية والبلاد المحيطة** "من أولى الرحلات التي قدمت معرفة علمية عن المشرق، لأنها جاءت كثمرة أو خلاصة لبعثة ملكية دانماركية، أرسلها ومولها ملك الدانمارك ، شارك في هذه الرحلة مجموعة من العلماء هم :فردريك كريتين فون هافن Fréderic ( ) Chrétien von Havenمستشرق دانماركي ، متخصص في د ارسة اللغات الشرقية، بيار فورسكال **(** Pierre Forskal سويدي، متخصص في التاريخ الطبيعي علم النبات وعلم الحيوان الطبيب كريتين شارل كرمر) Chrétien Charles Cramer – - **(** الذي كلف ايضا بعلم النبات وعلم الحيوان، وجورج غيوم بورنفايد **(** Geroge- Guillaume Baurenfeind (المكلف بتصوير النماذج التي يجمعها أعضاء البعثة من مناظر طبيعية، ألبسة، حيوانات، نباتات وغيرها، ومؤلف الرحلة كارستن نيبور وهو مهندس ألماني، مكلف بجمع المعلوماتالجغرافية
ومن الرحلات التي يمكن الاستفادة منها في الجانب التا ريخي وهي ذات طابع علمي رحلة الطبيب وعالم النباتات الألماني ج .او .هابنسترايت**(** J. E. Hebenstriet (، التي تمت بين سنتي 1832 و 1833 م، فهي تقدم لنا وصفا مهما لمنطقة شمال إفريقيا(الجزائر، تونس، طرابلس)في النصف الأول من القرن الثامن عشر، يتميز بشيء من الاعتدال والموضوعية إذا ما قورنت بمضمون رحلات أخرى .وهذه الرحلة تمت برعاية ملك بولونيا ومنتخب منطقة الساكس أغسطس الثاني (1733 - 1670م**)** ، الذي كلف الرحالة برئاسة بعثة علمية مهمتها التعرف على حيوانات ونباتات المنطقة وجمع عينات منها لفائدة القصر الملكي . تتضمن هذه الرحلة معلومات تاريخية عن محاولات الاسبان استرجاع مدينة وهران سنة 1832 م، وتسجيل ملاحظات عن عادات وتقاليد السكان
وكذلك رحلة تشارلز داوتي (59) Charles Doughty عام 1293 ه 1876 /م الذي يعد كتابه "رحلات إلى الصحراء العربية "من أفضل كتب أدب الرحلات لما تضمنه من مواد علمية مهمة (**و** الليدي آن بلنت الانجليزية ((Lady Anne Blunt (ورحلتها مع زوجها ويلفرد بلنت ((62) (Wilfrid Bluntإلى شبه الجزيرة العربية للبحث عن الخيول العربية الأصيلة عام 1298ه 1881 /م، وقد سجلت مشاهداتها في كتاب بعنوان "الحج إلى نجد مهد العنصر العربي " عام 1298 ه 1881 /م.
-رحلة الإيطالي كارلو جوارماني (64) ((Carlo Guarmani الذي ركز على شراء الخيول العربية ودراستها ونشر رحلته بعنوان "شمال نجد رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم"عام 1283ه /1866 م

وقد أسهم هؤلاء الرحالة إسهاما كبيرا في التعريف بتاريخ المناطق العربية ومختلف نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، وكانت لكتاباتهم وملاحظاتهم الفائدة العظيمة والمهمة على رغم أن أكثرهم جاء لغايات سياسية بحتة إلا أن القيمة الاقتصادية والسياسية الاجتماعية لتلك الرحلات لا تقدر بثمن لأنها تؤرخ لحقبة زمنية مهمة، كما أن الأعمال التي قاموا بها وصبرهم على مناخ المختلف للوطن العربي وتحملهم للظروف الصعبة التي مرت بها المنطقة، إضافة إلى فقدان الأمن والأمان، كل ذلك يجعل الجهود التي قدموها تحترم وتقدر بصرف النظر عن تلك الأهداف التي جاؤوا من أجلها .

الدوافع سياسيـة :

كان منهم من يكلف بمهام سياسية أو جاسوسية ، ومن بينهم من أوفدته الحكومات لدراسة طبيعة الأرض ، أو لدراسة القبائل ، أو لأغراض سياسية ، أو لإثارة الفتن ، أو فيما بعد لتقصي الإمكانات النفطية . ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ركزت مذكرات الرحالة على المهام التي جاؤوا من أجلها ، خاصة أن بعضهم كانوا ينتمون إلى هيئات أو مؤسسات علمية أو يراسلونها مزودين إياها بمعلومات دقيقة حول الأرض أو السكان أو كليهما ، فبوركهارت مثلاً أرسلته الجمعية الجغرافية ، وداوتي كان يبعث بوصفه ورسوماته إلى عالمين فرنسيين متخصصين في الدراسات السامية في باريس . وقرأ جورج فالين تقريراً عن رحلته الأولى أمام الجمعية الجغرافية الملكية الدنماركية . وقام بيرتون برحلته بتكليف من (الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية) . ويفصح بورخارت عن نواياه ، والسبب الذي دعاه للترحال ، قائلا : « ما من عربي صدقني بأنني أسافر من أجل المتعة ، ففي نظرهم لا يسافر الواحد منا إلا بغاية كسب المال أو لأجل التجسس على بلدهم » . وكانت جيرترود بيل Gertrude Bell (من المخابرات التي خصصت لها الدولة الإنجليزية مبلغ خمسة آلاف ليرة إنجليزية) . وقام ليون روش برحلته بتكليف من الحاكم الفرنسي على الجزائر ، واكتشف أمره في النهاية ، وتم تهريبه بصفته جاسوسا نصرانيا

كما يتضح الدافع السياسي للرحلة من الدور الذي قام به هاري جون فيلبي عندما بعثت به الحكومة البريطانية إلى نجد ، ورغم الظاهر البحثي الأكاديمي لمهمة فيلبي ، إلا أنه بحكم وظيفته كان يبحث في قضايا ذات أبعاد سياسية أو تاريخية يثبت من خلالها حقوقاً معينة . وقام الكولونيل تشيزني بمسح الفرات ، بتكليف من وليم الرابع ، وكارل شوان بتكليف من المخابرات الألمانية ، ولاسكاريس بتكليف من قادة حملة نابليون في مصر ، ولا يغيب عن أذهاننا دور توماس ولورنس الذي أطلق عليه لورنس العرب في قيادة الثورة العربية وتوحيدها ضد الوجود العثماني ، وكان للورنس دور بارز في دغدغة أحلام العرب بالحرية والدولة

وكان عدد غير قليل من هؤلاء الموفدين مرتبطين بدوائر المخابرات ويعملون بتوجيهها ، تحقيقاً لأهداف إستراتيجية ومصالح عليا في منطقة الشرق الأدنى ، بل نجد من بين النساء الغربيات رحالات قمن بخدمة أوطانهن خدمة فاقت قدرات الرجال جرأة وجسارة ، وتركن بصمات واضحة في تاريخ أدب الرحلات ، ومن أشهرهن : جين دغبي (Jane Digby - 1807 1881)

وأيستر ستانهوب (1776 15 (Hester Stanhope -1839 ، وإيزابيل بورتون Isabel Burton ، والليدي أن بلنت Anne Blunt ، وفريا ستارك (1893 (1993 Freyas Stark .

المحاضرة الخامسة : كتب القناصل ودورها في كتابة تاريخ الوطن العربي :

تعريف القنصل :

يعرف معجم webster القنصل بأنه" شخص معين من قبل حكومة ما أو بموافقتها للإقامة في بلد أجنبي معين لرعاية مصالحها التجارية البحرية .

أما **معجم Oxford** فيعرف القنصل بأنه" وكيل معين ومجاز من قبل دولة سيدة للإقامة في مدينة أجنبية أو مرفأ أجنبي من أجل حماية مصالح مواطنيها ورعاية حقوقها وامتيازاتها التجارية وعرفت **موسوعة دالوز Dalloz** القنصل بأنه" وكيل رسمي تقيمه دولة في مدينة ما (في دولة أخرى من أجل حماية مصالحها ومصالح مواطنيها . (ربيع، 2017-2018، صفحة 9)

القنصل هو الشخص الذم يقوم بتمثيل بلاده في دولة أجنبية، والساعي دوما لرعاية الجوانب المتعلقة بالعمل التجاري وتطويره بما يحقق مكتسبات في البلد الذم يقيم فيه، من خلال قوانين ذاك البلد ، وسعيا للتفوق على غيره من قناصل الدول الاخرى تاركا للسفير التمثيل السياسي واجراء المفاوضات وتوقيع الاتفاقيات والتجسس ، والحفاظ على حقوق ابناء جاليته والدفاع عنها وغيرها من المهام الأخرى . [1]

نماذج لكتب القناصل الغربيين :

- مذكرات وليام شالر William SHaler: ولد عام 1778 ، عمل في سن مبكرة ممثلا لشركة تجارية أمريكية تتعامل مع فرنسا فاكتسب اللغة الفرنسية وسافر الي أمريكا الجنوبية والشرق الأدنى وعين ممثلا لبلاده في كوبا والمكسيك ، كان مفاوضا للجانب الأمريكي في الجزائر في بداية الأمر ثم تقلد منصب القنصل العام في الجزائر مابين 1816-1817 وعاصر خلالها ثلاث دايات على التوالي وهم عمر باشا 1815 41817 ، وعلي خوجة 1817-1818 ، والداي حسين 1818-1830 ألف عن عمله الدبلوماسي كتابا هو بمثابة مادة خبرية تاريخية عالية القيمة عن الجزائر وعن حملة إكسماوث البحرية ضد الجزائر عام 1816 . نشر هذا الكتاب في بوسطن سنة 1826 بعنوان : " Sket Of Algiers وضمنت له ترجمة فرنسية نشرت في باريس سنة 1830 بعنوان " Aperçu Historique sur L'état d'Alger " خصص وليام شالر مذكراته الموسومة بمذكرات

[1] مازن البودي. (30 06, 2015). القناصل في ظل الدولة العثمانية و دورهم في بلاد الشام 1247 ه-1333 ه، 1831 م-1914 م. *مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية : سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية.، 37*(3). ص 327

قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 للعلاقات الجزائرية الامريكية ويعتبر هذا الكتاب مصدر مهم يضم بين سطوره حقائق وآراء ومواقف لا يوجد ما يدعو الى الشك في صدقها ، كما يحتوي على آراء ومواقف عدائية للجزائر ، وقد قسم القنصل الأمريكي كتابه الي مقدمة وسبعة فصول وأردفه بلواحق ومن بين ما جاء في كتابه : بيان حدود وإمتداد الجزائر ، الجبال ، المناخ ، الحيوانات ، الانتاح الطبيعي ، التقسيم السياسي ، للمدن والسكان ، الانهار ، الدين ، اللغة ، شكل الحكومة ، التبعية للإمبراطورية العثمانية ، حكومة الولايات ، المؤسسات السياسية ، القضاء ، العلاقات والمعاهدات مع الدول الأجنبية المراسيم رمضان وعيد الاضحى ، ثروة السكان ، أنواع السكان ومميزاتهم ، حالة العلوم والمعارف ، تعليم الأطفال ، الملابس ، جمال النساء ، حسن عادات المسلمين ، طريقة اللباس ، الغذاء ، اليهود وأحوال المدينة ، المنتجات الصناعية ، المنازل والطرق والأحياء السكنية ، المؤسسات الدينية ، حالة العبيد ، حياة البذخ في الجزائر ، مختلف الأمم التي تسكن المملكة ، معالم سياسة الجزائر من1810-1825.[1]

-نقد الكتاب لكتاب ويليام شالر :

- أكد المترجم الرسمي للملك شارل العاشر بيونشي أن الكتاب تفصيلات دقيقة حول أوضاع المملكة ومدينة الجزائر من ناحية الإحصاءات، القوة، عائدات الإيالة، مواردها وعلاقاتها القديمة والحالية مع الدول الأوروبية إضافة للأحداث العسكرية (المعارك) وشكل الحكومة وخصائص العناصر السكانية المحلية والمحتلة للبلد (الأتراك .)

- ما ذكره الكاتب حول العاصمة: تحصيناتها، محيطها وتحديده لطوبوغرافية العاصمة بعناية ... سيساعد في تحديد مسار العمليات العسكرية التي تهاجم الجزائر مستقبلا. وبالتالي فإن بيونشي يثني على منح الفرنسيين هذه المعلومات التي ستسهل سير العمليات الفرنسية عشية الحملة الفرنسية على الجزائر. كما يؤكد بيونشي أن الوصف الذي أدرجه القنصل الفرنسي عن مخطط مدينة الجزائر هو نفسه الذي اكتشفه بعد رحلته إلى الجزائر أي أن بيونشي يثمن على دقة شالر في وصفه لمدينة الجزائر.

- انتقد Bianchi النقد الذي وجهه شالر بشكل مستمر للسياسة الفرنسية مع الجزائر دون توضيح الظروف المعاصرة لمواقف فرنسا

- مدفوعا بالحماس الوطني بالغ شالر كثيرا في وصف الانتصارات التي حققتها الولايات المتحدة الأمريكية عبر بحريتها على حساب ايالة الجزائر وحسب بيونشي فالولايات المتحدة لم تحقق الا نصرا ضئيلا حصلت على اثره على أسلحة (سفن (جزائرية أعادتها فيما بعد رغبة في تحقيق السلم مع الجزائر، ثم يقارن المترجم انجاز الولايات المتحدة مع إنجازات لويس الثامن

[1] وليام شالر. (1982). *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824*. (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . ص 18

عشر الذي حول البحرية الجزائرية ومدينة الجزائر إلى رماد في حملتين عسكريتين . فالمترجم يقزم من انجاز الولايات المتحدة ويظهر فرنسا على أنها الأقوى.

- فند بيونشي بعض المعلومات التي جاء بها ويليام شالر مثل حصول بريطانيا على امتياز الانجليز على حق صيد المرجان بدل الفرنسيين سنة 1815م إذ أكد بيونشي أن فرنسا بقيت محافظة على امتيازها في الحصول على حق صيد المرجان في السواحل الجزائرية .

- فند الجينرال بيليسيي إمكانية استعمال واد الشلف للملاحة كما ذكر ويليام شالر، إذ ذكر بيليسيي أن واد الشلف لا يمكن أن يستعمل للملاحة حتى في أوقات هطول المطر فهو لا يعدوا أن يكون سيلاً لا غير .

- القيمة التاريخية للكتاب :

- يكتسي كتاب ويليام أهمية بالغة نظرا لأنه أعطى معلومات دقيقة جدا عن ايالة الجزائر في وقت كانت فيه الجزائر تمتلك هيبة عالمية لكنها على شفى الانهيار، ولعل كون شالر شخصية دبلوماسية رسمية فان ذلك ساعد كثيرا في شهرة الكتاب وسرعة انتشاره ووصل الأمر حتى قيام بيونشي Bianchi المترجم المعتمد للملك الفرنسي شارل العاشر بترجمته بطلب من الملك نفسه وبمقارنة بسيطة بين ما جاء في الكتاب وسير الحملة الفرنسية واستراتيجية اسقاط العاصمة نجد أن الفرنسيين طبقوا اقتراحات شالر (كتابه ضم معلومات أكثر دقة وشمولية من مخطط بوتان الذي كان ضابطا عسكريا أما شالر فدبلوماسي وبحار وأكاديمي) بشكل كامل تقريبا من انزال في سيدي فرج، الاعتماد على حلة برية – بحرية، السيطرة على حصن الامبراطور كما عرفهم الكتاب بأحوال الجزائر الاجتماعية والسياسية والعسكرية وتحصينات المدينة وهي معلومات مفصلية قبل الحملة فنجاح الحملة يتوقف على المعرفة الجيدة بأحوال المنطقة المراد غزوها. إن هذا الكتاب يعتبر مصدرا فائق الأهمية لدارسي تاريخ الجزائر في هذه المرحلة لما يحتويه من معلومات عن الجزائر في كل المجالات.

- ذكر المؤلف أنّ الجزائر بلد كثير الثروات، مناخ جيد، سكانه مسالمون، أرضها خصبة لكن هذه الأرض بأيدٍ غير أمينة غير حكيمة ومستبدة لا تحسن استغلال هذه الثروات ثمّ دعا الغرب إلى احتلالها وبشّر من فعل ذلك بميزات وخيرات لا تعدّ ولا تحصى وزعم أنّه يدعي التحضر، ويظن شالر أن أحسن دولة يمكنها فعل ذلك هي بريطانيا فدعاها للمسارعة إلى احتلال الجزائر وأعطاها خطة عملية سهلة وجاهزة بكلّ دقائقها وتفصيلاته وهنا تتضح النوايا الاستعمارية الخبيثة للكاتب وهي نفس الخطة التي اتبعها الفرنسيون يوم غزوهم للجزائر خاصة اذا علمنا أن شارل العاشر قد طلب احد مترجميه بترجمة هذا الكتاب للفرنسية وتم نشره في فرنسا قبل الحملة بأشهر فشالر إذا ساهم في تخريب الجزائر وليس في تمدينها كما كان يدعي.

- الكاتب يريد خدمة بلاده عبر نصح بريطانيا باحتلال الجزائر كون الولايات المتحدة لازالت في مرحة الفتوة بعد استقلالها عن بريطانيا التي لاتزال تتربص بالأراضي والأقاليم الأمريكية فبحث لها عن أرض مثالية تبعدها عن بلده وهذه الأرض هي الجزائر.

- انتقد ويليام شالر السياسيين الأتراك بشكل لا حد له فوصفهم بالقراصنة، المرتشين، الظالمين، العنصريين، الأغبياء، الجشعين حتى وصل الأمر بادعاء ان الدايات كانوا يفتشون سفن القناصل الجدد للتأكد من احضارهم الهدايا الثمينة وينتهي الأمر بالمفاوضات حول هذه الهدايا ...ولعل ذلك يفسر بإذلال الأتراك للولايات المتحدة عبر تقبيل يد الداي في الأعياد والانحناء له إضافة للمعاهدات التي تدفع على إثرها دولته والكثير من دول أوروبا الضرائب والأسلحة والذخيرة للجزائر كما حصل في معاهدة سنة 1795م ما جعله يحقد على الجزائر فصار

يؤول حتى الإيجابيات بقراءات سلبية فأرجع روح المغامرة والجرأة التي يتميز بها البحارون الجزائريون إلى كثرة المؤامرات الأوروبية وجشع الحكومات الغربية وكل ذلك بهدف استصغار القوة الجزائرية.

من الواضح أن شالر مطلع بشكل جيد على الجغرافيا إذ ذكر تفاصيل الاحداثيات الفلكية لجل المناطق التي تحدث عنها، وحتى عادات السكان وثقافتهم وكل ما يخص العاصمة خاصة من طرق ومنازل وتحصينات ونقاط ضعف.

- وقع الكاتب في الكثير م التناقضات نظرا لأهدافه الخبيثة من الكتاب إذ انتقد الحكومة التركية مرارا مبديا إنسانية جياشة وحبا للجزائريين المساكين !! وذلك رغبة في استقطاب دولة أوروبية لاحتلال الجزائر ثم نجده يؤكد عكس ذلك بثنائه على حسين باشا بشكل رائع فيصفه بالعدل، النبل، الشجاعة، رجاحة العقل، سرعة الادراك، كما أثنى على شرطة العاصمة وقال عنها الأفضل في العالم دون منازع ولعل ذلك يفسر بكون الكاتب يريد توضيح الطريق للبريطانيين بكيفية اقناع السكان بضرورة قبول الوجود الأوروبي في الجزائر بعد طرد الأتراك من الجزائر إذا ربطنا بين مختلف أفكار الكتاب فالعدل منح الأتراك قبول السكان بوجودهم.

- من الواضح جدا النظرة الاستعلائية للكاتب فيصف الأوروبيين بالعالم المتحضر والمتمدن والافريقيين بالمتوحشين وخادشي الحضارة، فنجده يربط بين الاجتماعات الأوروبية في فيينا وإكس لا شابال ومصير الجنس البشري وكأن أوروبا هي كل العالم وهي حافظة الحضارة والمدنية !!

- لم يحترم الكاتب الترتيب الكرونولوجي للأحداث في كثير من المرات إذ تحدث عن مؤتمر إكس لا شابال الذي انعقد في 1818م ثم انتقل للحديث عن أحداث 1819م ثم ذكر بعض أحداث

1815م. وبدا هذا الخلط في التنظيم في تكرار الكثير من العناوين والشروحات فنجده يتحدث عن السكان في الفصل الأول ثم يعيد الكلام عن السكان في الفصل الثاني. [1]

- **-مذكرات جيمس ليندر كاثكارت James.leander Cathcart** : ولد جيمس ليندر كاثكارت بتاريخ 1 جوان 1767 بإيرلندا ، ذهب إلى أمريكا عشية الثورة الأمريكية وعمره ثماني سنوات ، وانظم الى البحرية فأسره الانجليز وسجن بنيويورك ، وبعد ذلك نجح في الهروب وعمل تاجرا ؟.

اشتغل كاثكارت في سفينة " ماريا بوسطن " التي استولى عليها العثمانيون في شهر جويلية سنة 1785 وقد كانت مارياويوسن أول سفينة تقع في يد البحارة ، لم يلبث كاثكارت مدة طويلة حتى أصبح موظفا ومديرا لمكتب الداي في الجزائر ، وقد عمل واسطة بين الداي الجزائر والولايات المتحدة الامريكية ، كما ساهم في وضع اتفاقية أبرمت بين الجزائر والولايات المتحدة الامريكية وفي سنة 1796 عاد كاثكارت الى الولايات المتحدة الأمريكية يحمل معه رسائل معاهدات السلام مع الجزائر وعين قنصلا عاما في تونس وطرابلس والجزائر وقد بلغ مجموع السنوات التي قضاها في مختلف الأماكن قنصلا تسع سنوات ، ثم عاد إلى الو.م.أ ليعين في مناصب إدارية حتى توفى في 6 أكتوبر 41843 . تعتبر مذكرات كاثكارات من المصادر الهامة التي دونت العلاقات بين الو.م.أ ودول المغرب ومنها الجزائر ، فكاثكارت عكس الكثيرين ممن كتبوا المذكرات والذين يحاولون تبرير أعمالهم أو يسجل يومياته للنشر لكي يعرف مواطنوه ماقدمه من خدمات لوطنه يستفيد مالا ومجدا فهو لم يقم بنشر مذكراته إنما تولت ابنته نشرها بعد وفاته ؟.

لقد تناول في مذكراته العلاقات الجزائرية الأمريكية وهي المصدر الأساسي والوحيد في هذا المجال في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، ذلك ان كاثكارت هو الذي تولى المفاوضات مع الداي في مختلف مراحلها لعقد المعاهدة الاولى مع امريكا مستغلا في ذلك معرفته بنفسية الداي وبهيكل العلاقات الخارجية بصفة عامة كما تطرق في مذكراته الى علاقات الجزائر بالدول الأوربية ، ولقد وصفها بانها مليئة بالتنافس والتطاحن من اجل المصالح السياسية والتجارية ، وقد خصص فصلا لوصف الشؤون البريطانية في الجزائر ، كما اشار " كاثكارت " الى المؤسسات والمنشآت العمومية وتحدث بصفته شاهد عيان عن مدينة الجزائر ، المدارس ، المساجد ، السجون ، وخصص فصلا لوصف أجنحة قصر الداي من الداخل في عهد حسن باشا ، وتحدث أيضا عن التحصينات البحرية ، حوض السفن الممر البحري ، (الفنار برج بناه الإسبان معقد) ومجلس مدير البحرية ، الغذاء ، ورش بحرية ، تجهيز السفن ، مداخل المدينة ، تحصينات المدينة ، جمال مناظر الجزائر ، قلعة السيد تقليلت ، برج النجم ، مقبرة المسلمين ، مقابر الدايات السبع ، مقبرة المسيحين ، مقبرة اليهود .

[1] خالد عبد النور. (16 جويلية, 2021). *دراسة كتاب مذكرات ويليام شالر*. تاريخ الاسترداد 27 افريل, 2023، من https://www.his-geo.com/2021/07/blog-post_17.html

وصف قوة البحرية الجزائرية ، وصف الساحة ، بلاط القصر ، أبواب الخزينة ، مذبح القصر ، المطبخ ، جناح العبيد ، طريقة الاستحمام ، حديقة القصر ، الحيوانات المتوحشة أثاث القصر ، وصف المدارس العمومية ، ميزات بعض المصاحف القرآنية ، وصف المستشفى ، ثكنات الجيش ، مسجد الداي الجامع ، وصف الجامع الكبيرة ، يبدو انه فيه العديد من الفصول والكثير من الأخبار خصوصا في المجال السياسي والدبلوماسي . [1]

- **مذكرات لوران دارفيو :** قنصل فرنسا في حلب اعتبارا 1679 م / 1090 ه : ان من اهم ما كتب عن بلاد الشام كانت مذكرات دارفيو التي اتت في ستة اجزاء ، ولقد ولد " لوران دافيو " في مدينة مرسيليا ، من اسرة نبيلة الا انها فقيرة ، وبعد دراسة محدودة نالها احس ان التجارة في الليفانت هي الوسيلة الوحيدة لإعانته فقرر العمل مع اولاد عمه في ازمير وكان لا يتجاوز 18 من عمره وذلك في سنة 1653 م ، ثم انتقل الى صيدا وعاش فيها عدة سنوات ونتيجة تعرفيه العميق عادات اهل سوريا وتقاليدهم ، ولمعرفته بعدة لغات منها العربية والتركية ، فقد عينه الملك لويس الرابع عشر قنصلا على مدينة حلب ، بعد ان كلفه بمهمات كثيرة في اسطنبول وتونس والجزائر ، ولقد قام بعمله احسن قيام ، ا انه اصيب بالمرض ، فاستدعي الى فرنسا حيث توفي فبها سنة 1702 م وله من العمر 67 سنة ، واهمية المذكرات تنبثق بانها لم تكن كغيرها من ادب الرحلات وأوصاف الاقاليم والبلدان ، فهو لم يكن تاجرا عاديا منشغلا بتاجرته فحسب وانما كانت كتاباته مؤرخا ممحصا وموضوعيا ، فالمذكرات مملوءة بابحاث مثيرة واوصاف دقيقة ونقد علمي سليم ، وملاحظات مفيدة لا عن التجارة فقط التي يدرك ابعادها وظروفها وملابساتها ، وإنما عن دين اهل البلاد وتقاليدهم وعاداتهم الصغيرة والكبيرة وجغرافية ارضهم وفئاتهم الاجتماعية المختلفة ، فقد ميز بين الاتراك و العرب ، والتركمان والأكراد وما بين المسلمين والمسحيين بمختلف طوائفهم والدروز ووصف كل جماعة وصفا ممحصا ، [2] ، فيذكر ان سكان حلب كانوا 290.000 نسمة في عهده منهم نحو 30000 وان الجاليات الاجنبية بحدود 75 جالية ممثلة بقناصل او ممثليات تجارية ، وان اهل المدينة هم الاكثر وداعة والاقل اذى والاسهل معاملة بين سكان السلطة العثمانية ، اذ يستطرد في وصفهم عن عاداتهم وتقاليدهم ويظهر اعجابا كبيرا بحضارتهم ويهاجم من يتهمهم بالبربرية والتوحش ومعظم المعلومات التي يوردها صادقة وحقيقية بل دقيقة ، وان كانت تحمل احيانا تعصب ضد الاسلام والأتراك، ويعدد " دارفيو " المهن التي كانت معروفة في حلب في وقته وعددها 72 مهنة ، لكل منها رئيس يدعى شيخ الكار ، اما الاسواق ففيها كل بضائع العالم وهي ابنية ضخمة مقسمة الى ممرات ومن الصعب ان يسلك المارة طريقهم في الاسواق نظرا لكثافة الزحام ، كما تحدث عن موانئ المتوسط المتصلة مع حلب بشكل كثيف ونشيط وهي اسكندرون و اللاذقية وطرابلس الشام ، وكانت طرابلس تضم عدد من

---

[1] حميد آيت حبوش. (31 03, 2010). أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر : العهد العثماني نموذجا. *الحوار المتوسطي*(2). ص 76-78

[2] ليلى الصباغ. (1989). *الجاليات الاوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)* (الإصدار ط 1). بيروت : مؤسسة السلام . ص ص 894-895

القنصليات وهي على اتصال دائم مع مثيلاتها في حلب ، كما ذكر ان الجالية اليهودية في حلب تسئ الى التجارة ويقول " ليس بين الامم العاملة في التجارة من يسئ كما يفعل اليهود الوافدون من اوربا " فقد كانت حلب خالية منهم الى عهد قريب ، الا انهم دخلوا اليها منذ بضع سنوات ووضعوا انفسهم تحت حماية فرنسا وتمتعوا بامتيازتها وتركوا لحاهم تطول كالانكليز والفرنسيين وانهم يعملون بالخداع حتى ان امتنا والانكليز يقاسون منهم الامرين ،. [1]

مذكرات القنصل هنري غيز في لبنان : دبلوماسي فرنسي، كان يهوى تسجيل كل ما يراه، عُيّن قنصلًا لفرنسا في لبنان في الفترة 1808-1828 م، كما تولى قنصلية حلب في سوريا في الفترة 1838م1847 م. له العديد من الكتب المهتمة بمنطقة الشام وتاريخها؛ منها» :موسوعة تاريخ لبنان»، و«بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن»، و«الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا ، وفي كتابه المعنون بـ" بيروت ولبنان، منذ قرن ونصف قرن" يقدم الدبلوماسي الفرنسي هنري غيز، رؤية مفصلة عن الحياة في لبنان وفي وبيروت في بداية القرن التاسع عشر وحتى ما بعد منتصفه. ويحتوي الكتاب كما نشر بالفرنسية في تلك الفترة Relation d'un sejour de plusieurs années à Beyrouth et dans le Liban، وترجمه إلى العربية مارون عبود بعنوان مختصر "بيروت ولبنان، منذ قرن ونصف قرن" سنة 1948، على مادة مهمة تاريخية وجغرافية وإثنوغرافية للمنطقة بشكل عام، تساعد في فهم تكوينها. وتسهيلاً لدراسة الكتاب ومطالعته مطالعة مفيدة ، قسم هنري غيز كتابه إلى 44 فصلاً وملحقين . وجعل من فصوله فصولاً صغيرة لا يتعدى عدد صفحات أكبرها الخمس عشرة صفحة تتضمن في نصفها الأول تماماً ، أي 22 فصلاً ، وصفاً لمدينة بيروت ، وأهمية موقعها وتجارتها واقتصادها ، ولغتها وثقافتها وحاصلاتها ، بالإضافة إلى عادات أهاليها من المسلمين والمسيحيين من علاقتها بالريف اللبناني وامتداد ضواحيها من المعاملتين شمالاً حتى الشويفات جنوباً ، وعلاقة تجارها بمنتجي الريف اللبناني خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر . أما النصف الثاني من الكتاب فيتناول البحث فيه عن آثار الريف اللبناني جبلاً وبقاعاً ، وعن زراعة وإنتاج الجبل وعادات سكانه وتقاليدهم ، وتجمعاتهم المذهبية والدينية ، وعادات أمرائهم الشخصية والسلطوية وعلاقة الجبليين بحملة إبراهيم باشا المصري ، وتأثير هذه الحملة على مختلف جوانب الحياة الريفية من اقتصادية ومالية وطائفية ، ، ونتناول بالتفصيل كل الجوانب القيمة التي تناولها هنري غيز في كتابه ، حيث لم يقتصر الريف اللبناني في كتاباته على حدود جبل لبنان فقط ، بل تناول بالبحث والوصف أيضاً منطقتي بعلبك ووادي البقاع وآثار كل منهما وعلاقاتها بجبل لبنان سياسياً واقتصادياً. وانطلاقاً من مشاهداته وملاحظاته الهامة بوصف مختلف النشاطات الريفية والاقتصادية والاجتماعية ، سنسلط الضوء على بعض الجوانب من الحياة الريفية التي كانت موضوع استهجان وانتقاد من قبل

[1] علي القيم، و السيد احمد عزت ، . *مختارات من دارسي التراث العربي في سوريا*. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2007 ، ص 313-314.

القنصل الفرنسي ، [1] ويمكن الاطلاع على التقارير في كتاب بيروت ولبنان، منذ قرن ونصف قرن" لمؤلفه مارون عبود .

مذكرات القنصل الفرنسي بينو دي ميليه في مصر : ولد بينو دي ميليه في اللورين (1656 – 1738) وعين قنصلا في القاهرة في عام 1692 م ثم عين عام 1715 م مفتشا عاما لاسكالات الشرق وأقام في أواخر أيامه في مارسيليا وقد ظهرت له عدة كتب بعد وفاته ففي عام 1743 م ظهر له كتاب عن حكومات مصر القديمة والحديثة .

اما مذكرات ميليه التي نشرت باسم « وصف مصر » فكانت حصيلة لمشاهداته واكتشافاته للآثار المصرية القديمة والموميات والمخطوطات القبطية وقد أعجب ميليه بآثار مصر وحضارتها وقد قام الراهب لي ماسكريه بنشر مذكرات وملاحظات ميليه عن مصر عام 1735 م باسم « وصف مصر " ،

يتضح لنا ذلك مما كتبه الى ريجور Rigord مفتش البحرية الفرنسية في مارسيليا أوضح فيها أهمية الآثار في مصر العليا « ان المعابد المذهبة الجميلة ذات الألوان الزرقاء في مصر العليا تحتاج الى كشف علمي بواسطة علماء لديهم حب الاستطلاع والمعرفة " . وبذلك يكون ميليه هو أول من نبه لدراسة آثار مصر دراسة علمية دقيقة متأنية بواسطة علماء متخصصين « فلابد للعلماء ان يتوفر لديهم الوقت الكافي للدراسة لكي يعطوا المكان حقه المناسب من الوصف والدراسة » على حد قوله ولكي تكون الدراسة على اكمل وجه ا لابد من عمل خريطة كاملة لمصر » . كذلك أولى ميليه اهتمامه بالتاريخ القبطي فكتب انه « لابد من الكشف عن المخطوطات الهامة في الأديرة القبطية خاصة في دير ابي مقار وسانت انطوان وجبل سيناء » ويعزي اليه فكرة نقل المسلة المصرية إلى فرنسا قبل أن يقدم ديزيه على هذه الخطوة إثناء حملة نابليون فميليه هو صاحب الفكرة كذلك اراد نقل عمود السواري من الاسكندرية الى باريس وراي انه « يصلح لوضع تمثال لويس الرابع عشر فوق فمنه » وقد قدم ميليه اقتراحه بالفعل الى الوزير الفرنسي بونشر تران ولكنه رفض نظرا لتكلفة المشروع وعندما عاد ميليه الى فرنسا جدد العرض للوزير الفرنسي موروبا فلم يقتنع بجدوى المشروع

أما كتاب ميليه « وصف مصر » فهو من أهم المؤلفات التي ظهرت عن مصر أثناء النصف الأول من القرن الثامن عشر وقبل ظهور مؤلف فولني وقد سجل ميليه مشاهداته عن مصر اثناء تجوله في البلاد على ظهر حمار يتبعه الجنود الانكشارية فسجل الاحتفالات والأعياد والعديد من المظاهر الاجتماعية ، ولكن هذا لا يعني خلو وصفه من المبالغة مثل قوله « في مصر يتم صيد سمك له وجه انثى وله ذراعان ويدان وعند صيده بطلق اصواتا تشبه أصوات النساء » كذلك تأكيده أن المصريين يقصدون المعابد للعلاج فيمكثون عشرة ايام « لا ياكلون سوى الخبز والعسل ومسحوق السحالي وبيض العصافير »

[1] عبد الله ابراهيم سعيد. (2008). *لبنان في كتابات الرحالة*. بيروت لبنان : منشورات الجامعة اللبنانية. ص ص 313-314 .

كما كتب ميليه مذكراته وملاحظاته حول مصر على هيئة رسائل بلغ عددها ثلاث عشرة رسالة خصص الرسالة الأولى عن جغرافية مصر والثانية عن نهر النيل مجراه ومصبه ، وخصص الرسالة الثالثة لوصف الدلتا في مصر ون رشيد ودمياط ، وخصص الرابعة عن مدينة الاسكندرية وآثارها القديمة اما الرسالة الخامسة فكانت من القاهرة وآثارها والرسالة السادسة الأهرامات والسابعة عن موميات منف والثامنة عن مصر العليا ومدنها وثرواتها ودير سانت انطوان والتاسعة عن التاريخ الطبيعي وخصوبة اراضي مصر وثرواتها الزراعية والحيوانية والعاشرة من ديانة الفراعنة والاحتفالات ، والحادية عشرة من عادات السكان ومقارنتها بالعادات القديمة والثانية عشرة عن تجارة مصر ومشروع ربط تجارتها مع أوروبا وآسيا بواسطة البحر الأحمر أما الرسالة الثالثة عشرة والأخيرة فكانت عن القوافل في خاصة قافلة الحجاج مصر

يتضح لنا أهمية كتابات ميليه لأنها تناولت تاريخ مصر في مختلف المراحل كما أنه من الرواد الذين اهتموا بالعمارة الاسلامية والحضارة الاسلامية فوصف مسجد السلطان حسن وتحدث عن الفن في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي كما أنه بعد وفاته ترك مجموعة من المخطوطات العربية قام الوزير موروبا بشرائها لحساب المكتبة الملكية .

المحاضرة السادسة : كتب الاسرى

1-تعريف الأسر:

- **لغة** :ٱلأَسِيرُ مَأْخُوذ ' مِنَ الإِسَارِ وَ هوَ القَيْدُ لِأَنهَمْ كَانُوا يَشُدُّونَ الأَسِيرَ بالقيد ، فَسُمِيَ كُلُ أَخِيذٍ أَسيرًا وَ إن لَمْ يُشَدَّ به ، كَمَا سميَ كل مَحْبُوسٍ في قَيْدٍ أَو سِجْنٍ أَسيرًا، و الجَمع أَسْرَى و أُسَارَى بالضَّمِ و يجمَع أَيضًا عَلَى أسَرَاءْ.
- **وفي الاصطلاح** :عرّف الماورديّ الأسرى بأنّهم: الرّجال المقاتلون من الكفّار، إذا ظفر المسلمون بهم أحياءً. وهو تعريفٌ أغلبيٌّ، لاختصاصه بأسرى الحربيّين عند القتال، لأنّه بتتبّع استعمالات الفقهاء لهذا اللّفظ يتبيّن أنّهم يطلقونه على كلّ من يظفر بهم من المقاتلين ومن في حكمهم، ويؤخذون أثناء الحرب أو في نهايتها، أو من غير حربٍ فعليّةٍ، ما دام العداء قائماً والحرب محتملةٌ.من ذلك قول ابن تيميّة :أوجبت الشّريعة قتال الكفّار، ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم، بل إذا أسر الرّجل منهم في القتال أو غير القتال، مثل أن تلقيه السّفينة إلينا، أو يضلّ الطّريق، أو يؤخذ بحيلةٍ فإنّه يفعل به الإمام الأصلح .وفي المغني :هو لمن أخذه، وقيل :يكون فيئاً .ويطلق الفقهاء لفظ الأسير أيضاً على :من يظفر به المسلمون من الحربيّين إذا دخلوا دار الإسلام بغير أمانٍ، وعلى من يظفرون به من المرتدّين عند مقاتلتهم لنا .يقول ابن تيميّة :ومن أسر منهم أقيم عليه الحدّ .كما يطلقون لفظ الأسير على :المسلم الّذي ظفر به العدوّ .يقول ابن رشدٍ :وجب على الإمام أن يفكّ أسرى المسلمين من بيت المال ... ويقول :وإذا كان الحصن فيه أسارى من المسلمين، وأطفالٌ من المسلمين ... إلخ . [1]

[1] https://al-maktaba.org/book/31621/11214 . (07 05, 2023).

- **نماذج لكتب الاسرى الغربيين**

فراي دياقو دي هايدو Fray Diego de Haëdo : راهب إسباني تعرض للأسر و الاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر أفريل عام 1578 بينما كان يستقل سفينة تابعة لقراصنة مالطا رفقة مائتين و تسعة وثمانين شخصا كلهم في قبضة الأسر ، وفي سنة 1581 تم إطلاق سراحه ، و قام بنشر أعماله تحت عنوان " طبوغرافية تاريخ الجزائر

و يعتبر هذا الكتاب من الوثائق النادرة و الهامة التي ترتبط بالجزائر التي كانت محطة للأسرى المسيحيين ومركزا هاما من مراكز القرار العثماني التركي ، و موقعا متميزا للقراصنة و الإنكشارية . و للكتاب أهمية كبيرة لأسباب عديدة يأتي في مقدمتها أن صاحب هذا التأليف هو من الذين عاشوا ويلات الأسر في الجزائر ، كما يعتبر من المستنيرين القلائل ، التي حظيت باستضافتهم سجون الجزائر شأنه في ذلك شأن غيره من مشاهير الكتاب الإسبان من أمثال " دي شرفانتس ميقال " * لذا فشهادة هؤلاء تعد وثائق تاريخية لأنها صادرة عن شخص واع وعن شاهد عيان

ينقسم الكتاب إلى بابين كبيرين باب خصصه لتاريخ حكام الجزائر العثمانيين الأتراك وباب خصص لوصف مدينة الجزائر العاصمة ، فالجزء الأول منه تعرض فيه المؤلف إلى حياة الأسرى المسيحيين ، كما تعرض بالذكر في الجزء الثاني لشهداء العقيدة منهم الذين ماتوا في غياهب سجون الجزائر الذين من بينهم على وجه الخصوص المسيحيون الأسبان ، أما الجزء الثالث لقد خصص للمرابطين الجزائريين أو رجال الزوايا .

ولقد اعتمد " هايدو " في كتابه على شهادات حية سجلها من أفواه بعض الأسرى ، كما اعتمد على المصادر التاريخية المعروفة " وصف إفريقيا " لليون الإفريقي و جغرافية استر بون Estarbon في تحديد المواقع الجغرافية الطبيعية و الساحلية منذ عهد الرومان وقد خصص " الراهب هايدو " واحد و أربعين (41) فصلا للحديث عن كل أنواع الحياة الاجتماعية و عادات الجزائريين فقام كل من " BERBRUGGER " و " MONNEROU " بترجمة أجزاء ظهرت تباعا في المجلة الإفريقية العددين 14 و 15 كما ظهر جزء خاص بملوك الجزائر قام بترجمته Gramont Hde[1]

مذكرات" تيدنا : Thédenat ولد تيدنا بمنطقة" يوزيس Uzès" سنة 1758 م ، من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال، تمت تربيته ليكون رجل دين إذ درس في مدرسة كاثوليكية، لكنه فر منها وانخرط في الجيش، إلا أنه ترك الجيش وأصبح كاتبا لدى وكيل المقاطعة، ثم انتقل إلى ليفورن Livorne وبعدها" قادش Cadix أين عاش في منزل قريب والده، بعدها قرر ممارسة مهنة نقل الخمور من" ملقا Malaga إلى" مارسيليا Marseille .على سفينة إسبانية، إلى أن أسره بحارة جزائريون

[1] حميد آيت حبوش. نظرة المصادر الاوربية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني. عصور، العددة *11*(1) (15 06, 2012). ، ص 71-72.

رغم أن العلاقات الجزائرية الفرنسية كانت جيدة في تلك الفترة، إذ كان الداي يطلق سراح الأسرى الفرنسيين، إلا ان تيدنا اسر عندما كان على سفينة إسبانية والمعتبرة تابعة لدولة عدوة للجزائر، ومن حسن حظه ، اشتراه معسكر الذي احتاج لرجل مثقف وشريف لتسيير منزله، ولمدة ثلاث سنوات وسبعة أشهر تدرج تيدنا خلالها الى ان صار الخزندار– وزير المالية عند باي المعسكر، الذي كان سخيا معه، كما كان يصطحبه في كل رحلاته، بحيث لا يستطيع أحد اعلامنا بصفات الباي محمد الكبير عند أفضل من تيد ، على هذا الأساس تعتبر مذكراته مصدرا هاما حيث عرفنا بسلوك هذا الباي ونظام حكمه و علاقاته مع مختلف شرائح المجتمع الجزائري من جهة وبين الجزائر وأوربا من جهة اخرى ، وقد اكسبته مغامراته ومعاملاته مع اهل غرب الجزائر اشياء كثيرة اذ كان يتقن اللغة الاسبانية والايطالية والعربية وثقافتها ، الامر الذي اهله ان يتولى مهاما في الجانب الدبلوماسي بعد استرجاع حريته وعودته الى فرنسا وفي سنة 1785 كتب مذكراته في احدى مستشفيات زوريخ Zurich ، وقد ساهم في اثراء الخطة الفرنسية لاحتلال الجزائر ، حيث اسرع في جمع ذكرياته وجعلها في مذكرة تحت عنوان " نظرة على ايالة الجزائر " Coup d'oeil sur la régence d'Algerوذكر فيها اعمال القرصنة ووحشية البربريين " ووضح ان سلطنة الداي والبايات الثلاثة قائمة على اقلية من العسكريين ذوي الامتيازات وان القوة يدعمها الداي المستبد في الجزائر و قائمة على جبن الدول التجارية المستعدة دائما لدفع الاتاوات او الضرائب ، وان حملة عسكرية مدبرة احسن تدبير ستجعلها سيدة البلد ولا تكلف شيئا للحكومة ، لان كنز وثروات الداي و الاستيلاء عليا تغطي كل المصاريف ، وكما اقترح ارسال الجيش الى تنس ثم محاصرة الجزائر بالاتفاق مع الاسطول فيرغم الداي على تسليم الكنز وكل المراكب الحربية وبالتالي تتمكن فرنسا من بسط السيطرة على الجزائر (حبوش، نظرة المصادر الاوربية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني، 2012)

الالماني الاسير جوهان وايد في مكة والمدينة : Johann Wile ولد عام 1585 بمدينة نوربنرج Nurnberg بجنوب المانيا وعندما كان يؤدي خدمته العسكرية بالجيش الامبراطوري في المجر ، اسره الاتراك واقتادوه الى القسطنطينية في عام 1604 ، ووافق سيده في رحلة الحج الى نمة المكرمة عام 1607 واستمر اسيرا حتى عام 1609 عندما استعاد حريته وعاد الى وطنه عام 1611 م ، حيث كتب مذكراته عن هذه الرحلة " تقرير رحلة لأسير مسيحي Trave l Record of a Christian captive طبعة للمرة الاولى سنة 1613 ثم اعيد طبعها سنة 1623 ،

وقد بيع جوهان وايلد خلال فترة اسره سبع مرات ، وكانت المحطات الرئيسية لرحلته الطويلة مع سادته والتي بدأت من نورمبرج سنة 1604 : هنغاريا (المجر) ، القسطنطينية ، الاسكندرية ، القاهرة ، ثم الرحيل الى مكة سنة 1607 ثم المدينة المنورة ، ثم الرحيل بحرا الى مخا ، السويس ، القاهرة ، سيناء ، القدس (1608) دمشق ، تحرر من العبودية (1609) قبرص ، العودة الى

القاهرة بعد تحطم سفينته ، ثم الرحيل الى القسطنطينية ، الدانوب ، ليمبرج ، كراكو ، براج ثم نورمبرج .، ولقد كانت لغة وايلد في مذكراته واضحة وبسيطة ومعلوماته دقيقة في شيء من التفصيل وقد اشاد بعالم الشرق ، حيث يعيش المسلمون والمسيحيون العرب والبدو والفرس واليهود والارمن الذين يقدمون خدماتهم لكل من يقابلهم

ولقد تحدث وايلد في مذكراته عن الحجر الاسود ومناسك الحج ، كما وصف بئر زمزم ومقام ابراهيم وحرص وايلد في وصفه لرحلته الطويلة على ان تتضمن يومياته بعض المعلومات عن المعاملات التجارية والعلوم وملاحظات عن السكان وكان طوال اقامته في القاهرة والقسطنطينية حريصا على تدوين تقارير قيمة بعضها مرتب ترتيبا موضوعيا ، والبعض الآخر على شكل حكايات او قصص قصيرة ، شملت احوال التجارة ، عقوبة الاتراك المخمورين ، موضوعات دينية الزواج الختان ، الازياء ن المكوس او الضرائب ، تسالي اوقات الفراغ ، احوال النساء ، الزراعة وأحداث سياسية وتفاصيل من الحياة اليومية .[1]

رحلة جوزيف بتس : الحاج يوسف الى مصر ومكة المكرمة : ترجع أهمية رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) الى مصر والديار المقدسة سنة 1680 الى أن بتس هو انجليزي في التاريخ الحديث يزور مكة المكرمة ، كما أنه أول رحالة في التاريخ الحديث يصف طريق الحج الغربي ، أو درب الحجاج (البري والبحري) من بلاد المغرب ـ مرورا بمصر ـ حتى يصلوا الى الديار المقدسة ،

واذا كان جوزيف بتس هو أول انجليزي (وثاني أوروبي) يزور مكة المكرمة في التاريخ الحديث ، فهو أيضا أصغر رحالة ، لقد ولد جوزيف بتس في اكسون Exon بانجلترا ودفعه ذكاؤه وحبه للمعرفة ـ فيما يقول الرحالة بيرتون ـ الى مغادرة انجلترا سنة 1678 وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره ، ليرى العالم من حوله ، وعمل بحارا ـ وهو في هذه السن ـ على احدى السفن ، وكانت حروب الجهاد البحري التي يشنها البربر وبقايا المسلمين المطرودين من الأندلس ، والترك ـ لا تزال مستمرة في البحر المتوسط ـ ومن المعروف أن المؤلفين الأوروبيين يطلقون اسم القرصنة على حرب الجهاد البحرى تلك ـ هذه الظروف أدت الى وقوع جوزيف بتس في أيدي أحد البحارة الجزائريين ، فاتخذه عبدا ، وعاش العبد بتس في كنف سيده بضع سنين ، ثم اصطحبه ليحج معه الى مكة (المكرمة) وليزور المدينة (المنورة) . وسلك بتس مع سيده طريقا بحريا الى الاسكندرية فرشيد ، ثم أبحرا في النيل للقاهرة ، ومن ثم للسويس فالطور فرابغ على الساحل الشرقي للبحر فجدة وهناك استقبله المطوفون وصحبوه الى مكة الأحمر المكرمة ، وبعد أداء الحج زار المدينة المنورة وعاد للقاهرة ، وأصيب بالطاعون في الاسكندرية ، لكنه شفى في الجزائر

[1] علي عرقه عبده. (2013). *اوربيون في الحرمين الشريفيين* (الإصدار ط 1). القاهرة : عالم الكتب. ص ص 44-46 .

وبعد أدائه لفريضة الحج أعتقه سيده واعتبره بمثابة ابن له ، وكتب له ما يفيد عتقه ، وعاد بتس باختياره ـ الى الجزائر وعاش مع سيده السابق سنوات طويلة قبل أن يفكر في الهرب وهذه المدة الطويلة كانت كافية ـ كى تجعله ملما بكثير من المعلومات عن المسلمين وعن أحوال البلاد التي رآها ــ رغم أنه لم يحظ بقسط كاف من التعليم . فكتاباته كان تتميز بدقة التفاصيل ووصف الاشياء دون تنميق وبموضوعية تامة وبعمق في فهم العقلية الدينية للحجاج في اطار من الاحترام الكامل بالرغم من انه لم يؤمن بما يؤمنون به فيما يقول بيرتون ان كتاباته تخلو من الأحكام المسبقة والتعصب والميل للخرافة كما أنه ليس ساذجا ـ رغم صغر سنه ـ ولا سريع التصديق . ورغم أقوال بيرتون عنه انه رحالة متعاطف مع العرب والفكر الاسلامي

وقد أصدر يوسف بتس بعد أن ازداد علما وثقافة كتابا أسماه (حقائق عن الاسلام) أصدره سنة 1704 في لندن أي بعد رحلته بأكثر من عشرين عاما ، وقد تعرض فيه لنظام الحكم في الجزائر في ظل العثمانيين [1]،

جيرمان مويت (Germain Moüette :) ويُعرف كذلك ب» **مُويط)** «ولد في بونيل، - 1651 توفي في بونيل حوالي (1691؛) ، اختطف من قبل قراصنة سلا، و 16 شتنبر 1670، كان مويط ضمن طاقم سفينة تجارية، أبحرت من ميناء دييب الفرنسي، في رحلة نحو الهند الغربية .و بعد شهر من انطلاق الرحلة، تمت قرصنة السفينة من طرف سفينتين سلاويتين، و أسر طاقمها (40 رجلا و 4 نساء) و اقتياده إلى معقل القراصنة في مصب نهر بورقراق .تم بيع الأسرى في سوق النخاسة بالرباط، في الموقع المعروف، حاليا بباب القنانط .تناوب على ملكيته مجموعة من الأسياد، واشتغل لديهم كخباز وعامل إسطبل وبناء. اشتغل أيضا في مرسم أحد الأعيان المسلمين (الذي سماه بوجيمان في كتابه)، و الذي كان يمتهن الرسم والنحت على الجبس، وهي الفترة التي تعلم فيها العربية والإسبانية (التي كانت لغة الجالية الموريسكية) (الأخضر، 1990).

كان المغرب آنذاك يعرف تقوي الدولة العلوية، في عهد الرشيد بن الشريف، الذي كان بصدد بسط سيطرته على البلاد وتوحيدها، وكانت الرباط و سلا معقلا للقرصنة البحرية التي انتعشت تحت ظل جمهورية بورقراق) بين 1624و (1668، و التي حافظت على نشاطها رغم إدماجها في الدولة المغربية .

اشتغل مويط لسنتين، كخادم في بيت أحد أسياده المسلمين بسلا، ثم في إسطبل حاكم القصبة) قصبة الأوداية، حاليا، التي كانت مركز ديوان القراصنة.

عند وصول مولاي إسماعيل إلى السلطة(1672) ، قام بعزل الحاكم واستصفاء ممتلكاته، وضمنها جيرمان مويط. انتقل إثر ذلك مويط للاشتغال بقصور المولى إسماعيل بفاس و مكناس، حيث امتهن البناء لمدة 9 سنوات، واشتغل خلالها أيضا في أوراش في القصر الكبير .في المجموع، ظل

[1] جوزيف بتس. (1995). *رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة*. (عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المترجمون) مطابع الهيئة المصرية .ص ص 7-10.

مويط 11 سنة في الأسر، وكان من نزلاء حبس قارا في القصبة الإسماعيلية بمكناس، قبل أن يتم تحريره سنة 1681من طرف رهبان مسيحيين، ليعود إلى باريس، عبر تطوان و ملقة و طولون و ليون.

غداة عودته لفرنسا، سنة 1683، أصدر كتابين يعتبران من المراجع المهمة التي تصف بدقة الواقعين السياسي والاجتماعي للمغرب في القرن السابع عشر: سيرته الذاتية سرد لسجن السيد مويت في مملكتي فاس والمغرب، اللتان ظل فيهما إحدى عشرة سنة، و الذي ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر بعنوان رحلة الأسير مويط، تاريخ فتوحات مولاي رشيد، ملك تافيلالت، ومولاي إسماعيل، أخيه ووارث عرشه .[1]

المحاضرة السابعة : كتب الساسة

تُعد كتابات الساسة الغربيين، سواء كانت مذكرات شخصية أو تحليلات سياسية، مصدراً مهماً لفهم العلاقات الدولية وتأثير القوى الغربية على منطقة الشرق الأوسط .ومع ذلك، فإن هذه الكتابات لا تخلو من التحيزات ووجهات النظر التي قد تشكل، أو حتى تشوه، الرواية التاريخية للوطن العربي . يهدف هذا التقرير إلى تحليل دور هذه الكتب في كتابة تاريخ الوطن العربي، مع التركيز على تصنيفها، الأدوار التاريخية التي لعبتها، المناهج التحليلية التي اعتمدتها، والنقد الموجه إليها من منظور عربي وأكاديمي.

[1] مويط جيرمان : رحلة الأسير مويط ، تر الأخضر محمد ، حجي محمد ، دار المناهل للطباعة والنشر ، ص 6-8 .

الأدوار التاريخية لهته الكتب

تتجاوز هذه الكتب مجرد كونها سرداً للأحداث، لتلعب أدواراً محورية في تشكيل الفهم التاريخي للوطن العربي:

- **كمصادر أولية**

توفر مذكرات الساسة تفاصيل دقيقة، وفي بعض الأحيان حصرية، عن كواليس القرارات الدولية التي شكلت حدود ومصائر الدول العربية .على سبيل المثال، يمكن من خلالها فهم الدوافع وراء اتفاقية سايكس بيكو، أو تفاصيل المفاوضات خلال حرب أكتوبر، أو القرارات التي أدت إلى غزو العراق .تُستخدم هذه المذكرات كوثائق تاريخية لا غنى عنها لفهم وجهة النظر الغربية وصنع القرار على أعلى المستويات

- **تشكيل الرواية التاريخية**

تساهم هذه الكتابات بشكل كبير في خلق "تاريخ رسمي "للمنطقة في الأكاديميا والإعلام الغربي . وغالباً ما تطغى هذه الرواية على الروايات المحلية العربية، مما يؤدي إلى تهميش وجهات النظر الأصيلة .كما أنها تروج لمفاهيم معينة، مثل "الفراغ السياسي "أو "الحاجة للتدخل"، لتبرير السياسات الاستعمارية أو الإمبريالية، وتقديمها كضرورة تاريخية أو أخلاقية

- **.أداة للتبرير السياسي**

تعمل المذكرات المتأخرة، خاصة تلك التي كتبها ساسة شاركوا في أحداث مثيرة للجدل)مثل مذكرات توني بلير وجورج بوش الابن(، كأداة "لتطهير "السمعة السياسية وإعادة صياغة الأحداث في إطار أخلاقي أو استراتيجي معين .فهي تسعى لتبرير القرارات المتخذة، حتى لو كانت نتائجها كارثية، وتقديمها كخيارات لا مفر منها أو كجزء من استراتيجية أوسع لتحقيق أهداف نبيلة

.4النقد العربي والأكاديمي لهذه الكتابات

واجهت كتابات الساسة الغربيين نقداً واسعاً من الأكاديميين والمؤرخين العرب، يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- **التحيز والذاتية:** المذكرات بطبيعتها انتقائية، تركز على إنجازات المؤلف وتغفل إخفاقاته، مما يجعلها مصدراً غير محايد للتاريخ .فهي تقدم وجهة نظر شخصية، وليست سرداً موضوعياً للأحداث

- **تغييب "الفاعلية العربية:(Arab Agency) "** غالباً ما تصور هذه الكتب العرب كمنفعلين بالأحداث، مجرد كائنات تتأثر بالقرارات الغربية، وليسوا صانعين لها أو فاعلين في تاريخهم الخاص .هذا التغييب يقلل من شأن المقاومة العربية، والنضالات الوطنية، والإسهامات الفكرية والسياسية
- **التزييف التاريخي:** قد تتضمن هذه الكتابات إغفالاً متعمداً أو غير متعمد للحقائق التي لا تخدم الرواية الغربية، مثل تجاهل جذور القضية الفلسطينية، أو التقليل من شأن الدور العربي في أحداث تاريخية معينة

هاري سانت جون بريدجر فيلبي)بالإنجليزية(Harry St. John Bridger Phillby : (3 أبريل 1885 - 30 سبتمبر (1960، ويعرف أيضاً باسم «جون فيلبي» أو «الشيخ عبد الله»، متعدد الابعاد فهو سياسي ورجل استخبارات بارع ، ومستكشف رائد وتاجر ماهر لعب دوراً محورياً في إزاحة العثمانيين عن المشرق العربي خاصة عن شبه الجزيرة العربية والعراق والشام .وعلى الرغم من استقالته من وظيفته الحكومية سنة 1924 بسبب اختلافه الشديد مع القائمين على سياسة بريطانيا في الشرق الاوسط ، الذين اتهموه حينذاك بالعمل لصالح الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، فقد اختار ان يقضي ما تبقى من عمره أي اكثر من 40 عاما في البلاد العربية [1].

وقد بدا نشاطه في المنطقة العربية حينما تعرف على الملك عبد العزيز آل سعود في نوفمبر 1917 ، وكان عرفه بصفته موظفا في الحكوكة البريطانية ، ثم نقل الى العراق كمستشار لوزير الداخلية ، اختلف مع السياسة البريطانية في العراق واستقال وعاد الى لندن ، وهناك تقابل مع تشرشل فعرض عليه العمل كمستشار للامير عبد الله ملك الاردن ، فقبل وكان بذلك هو المستشار الانجليزي الثاني بعد لورنس ، ثم استقال من الاردن وعمل بعد ذلك في السعودية كمستشار غير رسمي للملك عبد العزيز 1955 طُلب منه مغادرة المملكة بعد محاضرة ألقاها تحمل نقدا للحكومة. فغادر إلى بيروت .وفي عام 1956 عاد إلى الرياض بعد مصالحة بينه وبين الملك سعود ، واستمر في دراساته الجغرافية والأثرية وقام بعدة زيارات إلى أوروبا وبينما هو في طريق عودته من مؤتمر للاستشراق في موسكو، توقف فيلبي في بيروت لزيارة ابنه كيم في سبتمبر 1960فتوفي هناك ودفن في بيروت ودفن في مقابر المسلمين . [2]

مؤلفات جون فيلبي : موسوعة مختصرة لتاريخ المملكة العربية السعودية ، غطت حقبة زمنية مهمة ، حيث كتب فيبلبي باسلوب سلس عن تاريخ المملكة وجغرافيتها واعلامها وأثارها ، وتعد اول كتابة منشورة لفليبي عن التاريخ الحديث لهذه البلاد كتابته تقريرا عن البعثة التي راسها الى

[1] مسعود عمشوش. (2021). *المستكشف هاري سانت جون فيلبي و رحلته الى حضر موت*. دار عناوين بوكس.ص 5

[2] عبد الله فيليبي. (ماي , 1981). الربع الخالي . *مجلة الفيصل*(48).ص 85

نجد عامي 1917-1918 م ذلك انها نشرت في مطبعة الحكومة ببغداد في العام الاخير نفسه ، وتشتمل تلك الكتابة على ذكر امور سياسية عسكرية مهمة متزامنة الحدوث مع كتابتها ، وفيها ما هو دقيق وما هو في حاجة الى تنقيح وتوضيح ، وفي عام 1918 م كتب فيلبي في النشرة العربية (Arab Bulletin) التي يصدرها المكتب العربي التابع للسلطات البريطانية في القاهرة ، ملحوظات عن رحلته من نجد الى الحجاز ورحلته الى الخرج في ذلك العام ، وتشتمل هذ الملحوظات على امور مفيدة للمؤرخ عن الاوضاع المعاصرة التي شاهدها في رحلتيه المذكورتين

اما عام 1922 فشهد نشر كتاب فيلبي **قلب جزيرة العرب The Heart of Arabia** وقد ظهر في جزاين يشتمل كل منهما على وصف لمناطق متعددة من وسط الجزيرة و الاوضاع السائدة فيها ، ثم تلا ذلك نشر كتابه : **جزيرة العرب في عهد الوهابيين** Arabia of the Wahhabis، الذي صدر في لندن عام 1928 م وهو مشابه لما سبقه منهجا واسلوبا .

وفي عام 1943 صدرت طبعة محدودة في لندن لكتاب فيلبي **حاج في جزيرة العرب ، A Pilgram in** Arabia ثم صدرت له طبعة عامة في تلك المدينة بعد ثلاثة اعوام من ذلك التاريخ ، وكثير من الحديث فيه عن وصف مفصل لحجه هو سنة 1931 م ، وهي السنة التي تلت سنة اعتناقه للاسلام ، وفي هذا الوصف ما يفيد المؤرخ لدراسة اوضاع الحج في تلك الفترة ، على انه لا يقتصر على ما يقهم من عنوانه ، وانما يشتمل ايضا على فصل عن رحلة مؤلفه الى بلاد فارس بعد عزله من عمله في بغداد سنة 1921

اما في سنة 1948 م فصدر في لندن كتاب فيلبي **ايام عربية** Arabian Days وهو عن سيرته الذاتية من بداية حياته الى زمن كتابته ، لكنه يحتوي على امور عامة متصلة بتاريخ المملكة داخليا وخارجيا ، وفي عام 1952 صدر في إثاكا بالولايات المتحدة الامريكية كتاب فيليبي **النجود العربية** Arabian Highlands وهو يتحدث عن مناطق وبلدان في جهات نجد الجنوبية الشرقية وعسير وجازان ونجران ، كما يتحدث عن المناطق الحدودية السعودية اليمنية ، محددا المسافات بين نقطها وواضعا خرائط لها ، وفي عام 1952 اضا صدر في لندن كتاب فيليب الذكرى العربية Arabian Jubiles وهو عن حياة الملك عبد العزيز خلال خمسن عاما ، شاملا وصفا لما كان يدور في البلاط الملكي من احداث ، على ان المؤلف نفسه يقول عنه بانه لم يهدف الى ان يكون سجلا تاريخيا عن حياة الملك وعهده ، وانما قصد به ان يكون اشبه بمسرح لعرض انجازاته ، و لاشك ان المؤرخ يستفيد من معرفة هذه الانجازات بالطريقة العلمية التي يعرفها

وبعد ثلاثة اعوام صدر كتاب بعنوان **المملكة العربية السعودية** Saudi Arabia وهو في جزء كبير منه اعادة صياغة وتنقيح وتصحيح لما اشتمل عليه كتابه السابق جزيرة العرب من تاريخ المملكة ، ولكنه بطبيعة الحال لا يقتصر على ذلك وانما يواصل الكتابة فيه عن التاريخ الى زمن صدوره ، وقد اعتمد فيه بدرجة كبيرة على المصادر المخطوطة والمطبوعة التي الفها المؤرخون من اهل وسط الجزيرة العربية ، ولم تكن متاحة له عند تاليفه كتابه الاول .

وفي عام 1964 اي بعد وفاة فيليبي بأربع سنوات ، صدر في واشنطن كتابه **" صفقات الزيت العربي "** وهو يشتمل على ذكر ما حدث بالنسبة لإبرام حق امتياز التنقيب عن النفط في منطقة

الاحساء الذي توصلت اليه المملكة مع السيد هولمز عام 1923 ، ومنح حق امتياز التنقيب عنه لشركة ستاندرد اويل كاليفورنيا سنة 1933 م .

- **فكيني ماكسيموفتش بريماكوف** : (ولد 29 أكتوبر 1929 - 26 يونيو 2015) كان رئيس وزراء روسيا في الفترة من 1998 م إلى 1999 م. كما شغل منصب وزير الشؤون الخارجية في الفترة من 1996 م إلى 1998 م.

اشتهر بريماكوف بمعرفته بالشؤون العربية التي ولدتها دراساته الأكاديمية الاستشراقية، وتوسعت من خلال عمله الصحفي مراسلا لصحيفة الحزب الشيوعي "برافدا" في الشرق الأوسط سنوات عدة، وقام بالعديد من المهام السرية الحزبية أثناء هذه الفترة، التقى خلالها مسؤولين عربا من مختلف المستويات.

تمتع بريماكوف بخبرة واسعة في قضايا الشرق الوسط، وقام بمهمات رسمية عديدة بالبلدان العربية، من أشهرها مهمته التي قام بها بتكليف من الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف عام 1991 لإقناع الرئيس العراقي صدام حسين بالانسحاب من الكويت تجنبا لحرب حتمية إذا لم ينسحب، لكنه فشل في ذلك.[1]

أصدر بريماكوف عددا من المؤلفات تناول الكثير منها منطقة الشرق الأوسط والتحولات العالمية، ومن أبرزها " الكواليس السرية للشرق الأوسط، ويوميات بريماكوف في حرب الخليج، وكتاب الشرق الأوسط المعلوم والمخفي، وفيمايلي قراءة لبعض هذه المؤلفات .

-**كتاب " يوميات بريماكوف في حرب الخليج" حرب كان تجنبها ممكنا " :** كانت المقالات التي كتبها المبعوث الرئاسي السوفياتي يفغيني بريماكوف عن حرب الخليج الوثيقة الرسمية الوحيدة الموقعة من صاحبها والتي تكشف في نفس الوقت حقيقة الحرب التي كان تجنبها ممكنا ، ففي كتابه يروي بريماكوف تفاصيل عن لقاءه بالرئيس العراقي الاسبق صدام حسين بشأن امكانية تجنب حرب 1991 معروف بقدراته وحكمته لكن مهمته التي جاء بها الى بغداد مبعوثا من الرئيس السوفيتي الاسبق ميخائيل غورباتشوف فشلت .
وما كتبه بريماكوف عن مهمته يعد وثيقة رسمية مهمة عن هاتيك الايام ومن وجهة نظر بريماكوف فقد راى ان موقف الرئيس الاسبق من الحرب غير مبرر الا ان الحرب كالقدر كان لابد ان تقع ، ولايمكن لأحد ان يوقفها لانها نتاج مواقف وظروف وعوامل تاريخية وللتاريخ احكام وقوانين لليس بالامكان وقفها او تجنبها ،
يبتدأ بريماكوف كتابه بالقول أن الدبابات العراقية اقتحمت في الثاني من اوت 1990 حدود الكويت واندفعت داخل أراضي هذا البلد .وبعد بضعة ايام ضم العراق هذه الدولة، إزاء ذلك كان رأي المجتمع الدولي بأغلبيته العظمى واحدا ، وطالب بإنسحاب العراق من الكويت بلا قيد أو شرط

[1] https://www.aljazeera.net/encyclopedia، تاريخ الاطلاع 14-04-2023

وبإعادة السيادة الى هذا البلد ، واصدر مجلس الامن القرارات الخاصة بهذا الصدد علما بأن إقرارها قد جرى بسرعة ، ويمضي بريماكوف ليروي قصة لقاءه مع الرئيس العراقي الاسبق صدام حسين في الخامس اكتوبر 1990 .قال الرئيس العراقي الاسبق :" ان العراق فور انتهاء الحرب مع ايران صار هدفا لمؤامرة متعددة الاطراف ، وان من المحال ان تسمح الولايات المتحدة واسرائيل بوجود العراق الذي قوى عضلاته العسكرية " .
وقال بريماكوف ان الرئيس العراقي الاسبق قال ان السعودية وعدد من امارات الخليج شاركوا في هذه المؤامرة واستخدموا الآليات الاقتصادية في المؤامرة واسهموا في انخفاض سعر برميل النفط من 21 دولارا الى 11 دولارا بقصد تدمير اقتصاد العراق وانهياره .ولخص الرئيس العراقي الاسبق الامر بالقول ان لاخيار امام العراق ؛ فإما الموت او الاستسلام والعراق يفضل الموت وعندئذ قال له بريماكوف :"اذا لم تسحبوا قواتكم من الكوت فستتعرضون حتما لضربة " فرد قائلا :"انه في حال الحل العسكري فإنه سيستخدم كل مالديه من وسائل وسينشر حتما نيران الحرب في المنطقة وخاصة في اسرائيل " واضاف :"لو مثل امامي الخيار التالي ،الركوع على الركبتين والاستسلام او الحرب فسأختار الحرب " .[1]

- **كتاب " الكواليس السرية للشرق الاوسط (النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الحادي** : يحتوي الكتاب على 22 فصلا القى فيه الضوء على نقاط وأسرار كثيرة سواء في الدول العربية أو منطقة الشرق الأوسط ككل بما في ذلك إيران وإسرائيل ، وتحدث بريماكوف عن أسرار بداية العلاقات المصرية - السوفياتية وبداياتها وتداعياتها، وكيف تحول الاتحاد السوفياتي السابق من وصف ثوار يوليو، من الفاشية العسكرية إلى «قادة تحرر وطني».
وتناول الكتاب كذلك أسرار جديدة ربما تذاع لأول مرة عن حروب مصر الثلاثة الأهم 56 و67 و73 ودور الاتحاد السوفياتي السابق في تلك الحروب وأسرار اعتراف السوفيات بإسرائيل، ثم قطع العلاقات معها بعد حرب 1967 وندم القيادة السوفياتية على ذلك، لأن هذا حرمها من لعب دور في التسويات السياسية.

وتناول بريماكوف، في فصل من الكتاب إسرائيل كدولة نووية غير رسمية على حد تعبيره وتعمق في كيفية صنع إسرائيل لقنبلتها النووية وتواطؤ الولايات المتحدة في ذلك. كما تناول الملف النووي الإيراني وما يمكن أن يكون له من تداعيات على منطقة الشرق الأوسط عموماً.

وكان لبريماكوف صداقات عديدة بين الدول العربية، فهو يرصد في الكتاب مسيرة ياسر عرفات منذ تأسيس منظمة التحرير وطموحه لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، وانتمائه للإخوان، ثم تخلصه من ذلك، واعتبره كان لجلب الأموال من بعض دول منتجة للبترول وحتى توقيع اتفاق أوسلو. وتحدث عن صدام حسين حيث كانت آخر وساطة روسية للحيلولة دون غزو العراق، واعتبر صدام شخصا غريب الأطوار وكان يتوهم لأنه سيتم إنقاذه في آخر لحظة، بل لم يكن يثق في أن الولايات المتحدة ستقوم بالغزو فعليا.

[1] يفيغني بريماكوف. (1991). *يوميات بريماكوف في حرب الخليج حرب كان تجنبها ممكناً*. كمبيوترنشر للدراسات والاعلام والنشر والتوزيع – بيروت لبنان

كما تحدث عن الرئيس السوداني السابق جعفر نميري وأطروحاته اليسارية المبالغ فيها ثم تحول إلى أمير المؤمنين واتجه يمينا بعيد انقلاب هاشم العطا. ، تناول بريماكوف ايضاً، الحرب الأهلية اللبنانية وكشف الكثير عن أسرارها وأسرار العلاقات السوفياتية - السورية وتحدث كذلك عن حرب 1973 بإسهاب.

كما تطرق الى الربيع العربي الذي كان في بداية 2011 والذي اجتاح كلا من تونس ومصر وليبيا والبحرين وسوريا ، وكيف ان هذا الربيع العربي سيكون له تاثير في عملية التطور في العالم العربي مستقبلا .[1]

- **جيمس إيرل "جيمي" كارتر (Jimmy Carter :)** ولد في 1 أكتوبر 1924 هو سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة بين عامي 1977 إلى 1981. وهو عضو الحزب الديمقراطي، شغل منصب حاكم ولاية جورجيا قبل انتخابه رئيسا. وظل كارتر نشطا في الحياة العامة بعد فترة رئاسته، وفي عام 2002حصل على جائزة نوبل للسلام لعمله في مركز كارتر. وقد كتب أكثر من 30 كتاب، ومن ابرز مؤلفاته : مذكرات البيت الابيض ، السلام ممكن في الاراضي المقدس ، دم ابراهم رؤية الى الشرق الاوسط ، فلسطين سلام لا فصل عنصري ولقد احدث هذا الكتاب ضجة غير مسبوقة في أوساط الرأي العام الأمريكي الرسمي منه والشعبي.

- **كتاب فلسطين .. لا فصل عنصري** : تم إصداره نسخته الأولى في نوفمبر 2006 الصادر عن دار سايمون آند شوستر ، و يتكون كتاب كارتر من 16 فصلا ، الكتاب اشبه بشهادة يقدمها كارتر للتاريخ تتضمن مذكراته وانطباعاته الشخصية كسياسي اميركي وصل لاعلى المناصب السياسية وبنى شبكة علاقات شخصية واسعة ومباشرة مع قادة العالم المعنيين بالصراع العربي الاسرائيلي

ونقطة انطلاق مضمون الكتاب هي اتفاقيات كامبد ديفيد بين مصر – ممثلة في الرئيس انور السادات – واسرائيل – ممثلة في رئيس وزرائها مناحيم بيجن – والولايات المتحدة – ممثلة في جيمي كارتر والذي كان رئسا لامريكا في ذلك الوقت واشرف بنفسه على الاتفاقية وعلى انجاح المفاوضات التي قادت اليها

حيث يعبر كارتر عبر صفحات كتابه عن ارتباطه القوي بتلك الاتفاقية ويعود اليها تكرارا لانه اشرف عليها من ناحية و لانها تضمنت كما يؤكد في اكثر من موضع اتفاقا شاملا على سبل ومتطلبات احلال السلام في الشرق الاوسط ، الذي التزمت به مصر ولم تلتزم به اسرائيل بشكل يجعل اسرائيل منتهكة لاتفاقية كامب ديفيد ولجهود إحلال السلام منذ توقيع الاتفاقية في عام 1978 .

[1] يفغيني بريماكوف. (2016). *الكواليس السرية للشرق الأوسط : النصف الثاني من القرن العشرين و بداية القرن الحادي و العشرين* (الإصدار 1). (نبيل رشوان، المترجمون) لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية

وعلى مدى صفحات الكتاب يقدم كارتر خلاصة تجربته العملية سواء خلال توليه مهام الحكم كرئيس للولايات المتحدة او فيما بعد كأحد الداعين للسلام خلال دوره الذي حرص على لعبه عالميا بادائا تناوله لموضوعه من لحظة زيارته الاولى الى اسرائيل عام 1973 وهي الزيارة التي جعلته في قلب الصراع .

ومن هذا الجانب يتطرق الى الدور المحوري الذي لعبه خلال فترة توليه الحكم والذي مثا اختراقا على صعيد القضية برمتها من خلال الجمع بين الرئيس المصري انور السادات ورئيس الوزراء الاسرائلي مناحم بيجن في كامب ديفيد ، ويروي كارتر تفاصيل التوصل لاتفاقيات كامب ديفيد ، ويرى ان عدم التزام اسرائيل باتفاقيات كامب ديفيد وحرصها على زيادة المستوطنات في الاراضي المحتلة ، وردها العنيف بقصف وتشريد آلاف الفلسطنيين واللبنانيين في جنوب لبنان ، وانتهاك بيجن المتعمد لبنود الاتفاق الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة ، كل هذا ادى الى تلاشي وضياع حلم تحقيق السلام في الشرق الاوسط .[1]

وقد قام كارتر في الكتاب بتناول موضوعات وقضايا يتفادى الحديث عنها الكثير من الأمريكيين، خاصة الساسة منهم. وبلا أية تحفظات وبصراحة كبيرة كما علق الكثيرين، يقوم كارتر بتفصيل خطوات يجب أن تتخذ لتتشارك كلتا الدولتين (فلسطين وإسرائيل) العيش بالأرض المقدسة، بلا أي نظام فصل عنصري أو خوف وإرهاب لا ينقطعان .

ويفصل كارتر في تقييمه الإجراءات التي يجب اتباعها لجلب السلام والتي تكون مبنية على ثلاثة أضلع رئيسية: أولها: أن يقبل الفلسطينيون ودول الجوار بحق إسرائيل في التمتع بحدود مرسومة وآمنة، وثانيها عدم التغاضي عن قتل المدنيين سواء في إسرائيل أو فلسطين أو لبنان أو غيرها، أما الثالث: فهو في حق الفلسطينيين بأن يتمعتوا بالسلام والكرامة فوق أراضيهم التي حددها القانون الدولي.

. وقد ظل كارتر متصلاً بعمق بقضايا الشرق الأوسط منذ مغادرته البيت الأبيض، حيث استمر تواصله مع لاعبين رئيسيين من جميع جوانب الصراع، كما قام بالعديد من الزيارات للأراضي المقدسة، وقد قام في عامي 2005 و2006 بدور مراقب للانتخابات الفلسطينية[2] .

هنري كيسنجر : هنري ألفريد كيسنجر(Henry Alfred Kissinger) ، وُلد في السابع والعشرين من مايو عام 1923 في مدينة فورث (Fürth) القريبة من نورنبرغ بألمانيا، لأسرة يهودية متوسطة الحال؛ كان والده لويس مدرساً، وتولّت أمه باولا ستيرن تنشئة أبنائها على القيم اليهودية المحافظة .نشأ الصبي هاينز—وهو اسمه الألماني الأصلي الذي عرّبه لاحقاً إلى »هنري—«في بيئة تشهد موجة متصاعدة من الإقصاء النازي، حتى أكرهت أسرته على الهجرة

[1] مجدي كامل. (2008). *الحكام العرب في مذكرات الزعماء والقادة السياسين ورجال المخابرات*. دمشق- القاهرة : دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع. ص ص 115-120

[2] https://www.marefa.org/فلسطين:_سلام_لا_فصل_عنصري. تاريخ الاطلاع 14-09-2023

إلى الولايات المتحدة عام 1938 عقب أحداث ليلة الكريستال، لتستقر في حي واشنطن هايتس بنيويورك[1].

تجنّس كيسنجر بالجنسية الأمريكية عام 1943 وانخرط في الجيش الأمريكي، وخدم في وحدة الاستخبارات إبّان الحرب العالمية الثانية، حيث اضطلع بمهام التحقيق مع ضباط الغستابو في ألمانيا المحتلة .كانت هذه التجربة الوجودية المبكرة حاسمةً في تشكيل وعيه السياسي؛ إذ أدرك مباشرةً كيف تنهار الأنظمة حين يغيب توازن القوى، وكيف تُفضي الأيديولوجيا المتشدّدة إلى كوارث بشرية لا حدّ لها .هذا الدرس البنيوي سيظل حاضراً في صلب كل كتاباته اللاحقة.

بعد انتهاء الحرب، التحق كيسنجر بجامعة هارفارد العريقة، ونال منها درجة البكالوريوس بامتياز عام1950 ، ثم الماجستير عام1952 ، وأخيراً الدكتوراه في العلوم السياسية عام 1954 بأطروحة موسومة بـ»عالم يُعاد تشكيله .«في هارفارد، تشرّب كيسنجر التراثَ الفكري لعلماء بارزين أمثال وليام إليوت الذي أرشده إلى فلاسفة القوة والدولة من هيغل وماكيافيلي إلى كلاوزفيتز، وسرعان ما تحوّل الطالب المتميّز إلى مدير لمشروع» السيمينار الدولي «الذي استقطب نخباً مستقبلية من شتى أنحاء العالم[2].

أرست هذه المرحلة الأكاديمية منهجه الفكري القائم على» الواقعية السياسية « (Realpolitik)؛ تلك المدرسة التي ترى أن الدول لا تتحرك بدوافع أخلاقية بل تسعى دوماً إلى صون مصالحها وتعزيز مواقعها في منظومة القوى .وفي اعتقاده أن أي نظام دولي مستقر لا يُبنى إلا على التوازن لا على العدالة المطلقة.

ـ المسيرة السياسية والإنجازات الدبلوماسية

انتقل كيسنجر من البرج العاجي الأكاديمي إلى عمق صنع القرار حين عيّنه الرئيس ريتشارد نيكسون مستشاراً للأمن القومي عام .1969 وفي أكتوبر1973 ، تولّى في الوقت نفسه منصب وزير الخارجية جامعاً بين المنصبَين في سابقة لم تعرفها الإدارة الأمريكية من قبل، واستمر في الوزارة حتى عام 1977 في عهد الرئيس جيرالد فورد[3].

---

[1] Walter Isaacson, Kissinger: A Biography (New York: Simon & Schuster, 1992), pp. 17-52..

[2] Stanley Hoffmann, "The Case of Dr. Kissinger," The New York Review of Books, December 6, 1979.يُحلّل هوفمان، المفكّر الهارفاردي، البنيةَ الفلسفية لأطروحة كيسنجر الدكتورالية، مُشيراً إلى أنها كانت في جوهرها مشروعاً لإعادة تأهيل المصطلح الواقعي بعد ارتباطه بالاستبداد الأوروبي في الوعي الليبرالي.

[3] Jussi M. Hanhimäki, The Flawed Architect: Henry Kissinger and American Foreign Policy (Oxford: Oxford University Press, 2004), pp. 3-27.يُحلّل هانهيماكي كيف أفضى الجمع بين منصبَي مستشار الأمن

تُعدّ إنجازاته الدبلوماسية ثلاثةً جوهرية :أوّلها الانفتاح على الصين الشعبية عام 1972 الذي أعاد رسم معادلات الحرب الباردة، وثانيها سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفيتي التي أفضت إلى معاهدات الحد من التسلح الاستراتيجي» سالت«، وثالثها الدبلوماسية المكوكية في الشرق الأوسط عقب حرب أكتوبر 1973 التي أرست أُسس مسار تسوية بلغ ذروته في كامب ديفيد لاحقاً .وفي المقابل، لا تزال قرارات كقصف كمبوديا والدور في إسقاط أَلِنده في تشيلي مصادر إدانة لا تهدأ من قِبَل منتقديه .توفي كيسنجر في التاسع والعشرين من نوفمبر 2023 عن عمر مئة عام.

ثانياً :المؤلفات الكبرى

1- عالم يُعاد تشكيله(A World Restored, 1957)

يُمثّل هذا الكتاب الحجر الأساس لفكر كيسنجر بأسره .صدر عام 1957 وهو في أصله أطروحته الدكتورالية الموسّعة .يتناول تجربة أوروبا في إعادة بناء نظامها الدولي بعد الاضطراب العميق الذي أحدثته الثورة الفرنسية والحروب النابليونية بين عامَي 1812 و1822، مُركّزاً بصورة رئيسية على شخصيتَي الأمير كليمنس فون مترنيخ وزير خارجية النمسا، وروبرت ستيوارت فيكونت كاسلريه وزير خارجية بريطانيا[1].

ب ـ النظام الثوري في مقابل النظام المستقر

يُقدّم كيسنجر في هذا الكتاب تصوّراً محورياً مفاده أن ثمة تمييزاً جوهرياً بين نوعَين من الأنظمة الدولية :نظام» ثوري «يُنكر الطرفُ الفاعل فيه شرعيةَ النظام الراهن ويسعى إلى تقويضه من الأساس—كما فعلت فرنسا النابليونية—ونظام» مستقر «تقبل فيه الأطراف الكبرى، حتى الساخطة، الإطارَ العام للعلاقات الدولية وتتحرك داخله لا ضده .والاستقرار—وهنا بيت القصيد—لا يعني غياب التغيير ولا العدالة المطلقة، بل يعني أن التغيير يجري عبر قنوات مشروعة متفق عليها لا عبر المواجهة المسلحة.

ج ـ الشرعية في مقابل العدالة

القومي ووزير الخارجية إلى تمركز غير مسبوق في صنع القرار الخارجي، وما انطوى عليه من تهميش للمؤسسة الدبلوماسية التقليدية وإضعاف للتعددية المؤسسية في الإدارة الأمريكية.

[1]- Henry Kissinger, A World Restored: Metternich, Castlereagh and the Problems of Peace 1812-1822 (Boston: Houghton Mifflin, 1957), pp. 1-19. يُعرّف كيسنجر في المقدمة الاستقرارَ الدولي بأنه ليس غياب التوتر بل شعور القوى الكبرى بأن إطار النظام أفضل من اللجوء إلى تغييره بالقوة، مُؤسِّساً بذلك المنطلق الفلسفي الذي يحكم مؤلفاته كلها.

يُفرّق كيسنجر في هذا الكتاب بين مفهومَين كثيراً ما يُخلط بينهما :الشرعية (Legitimacy) والعدالة .(Justice) فالشرعية في قاموسه لا تعني العدل الموضوعي بل تعني توافق القوى الفاعلة على معايير مشتركة تحكم سلوكها .ومن هنا يبرز المثال المترنيخي بوضوح :إشراك فرنسا المهزومة في النظام الأوروبي الجديد بدلاً من إذلالها وإقصائها كان اختياراً يقوم على الشرعية لا على العدالة الانتقامية، وأفضى إلى استقرار دام قرناً .في حين أن معاهدة فرساي 1919التي طغى عليها منطق العقاب أنتجت ظروف ظهور هتلر.

د ـ الأثر الفكري ومفتاح فهم كيسنجر السياسي

يكتسب هذا الكتاب أهميته الحقيقية من كونه مفتاحاً لفهم كيسنجر السياسي بأكمله؛ فدفاعه عن مترنيخ هو دفاع مبكر عن نهجه العملي اللاحق :إشراك الصين في النظام الدولي لا عزلها، والتفاوض مع السوفييت لا المواجهة الشاملة، وتسوية الصراعات الإقليمية بالدبلوماسية لا بالحسم العسكري وحده .أما ضعف النموذج المترنيخي الجوهري—كما يعترف كيسنجر—فهو قيامه على عبقرية فرد لا على بنية مؤسسية، فما إن رحل بسمارك حتى انهار التوازن الذي أقامه في غضون عقدَين.

2ـ الثلاثية التذكارية الكبرى(1999 – 1979)

أ ـ سنوات البيت الأبيض(White House Years, 1979)

يغطّي هذا المجلد الأول الفترة الممتدة بين عامَي 1969 و1973، وهي سنوات توليه منصب مستشار الأمن القومي في عهد نيكسون .يستهله بصورة شخصية لحظة التعيين المفاجئ ويُقدّم توصيفاً معمّقاً للعلاقة المركّبة التي جمعته بنيكسون؛ تحالف براغماتي قام على التشارك في الرؤية الاستراتيجية لا على الصداقة الشخصية .يتوقف بإسهاب أمام ثلاثة ملفات :حرب فيتنام والمفاوضات السرية الموازية في باريس، والانفتاح على الصين عبر كواليس الرحلة السرية إلى بكين في يوليو 1971 متذرّعاً بوعكة صحية في باكستان، وسياسة الوفاق مع موسكو وما أفرزته من معاهدات تسلح[1].

ب ـ سنوات الاضطراب(Years of Upheaval, 1982)

[1] Henry Kissinger, White House Years (Boston: Little, Brown and Company, 1979), pp. 3-26 & 684-787.يصف كيسنجر لحظة التعيين المفاجئ وطبيعة علاقته بنيكسون، ثم يُفصّل في قسم لاحق آليات التفاوض السري مع الصين عبر الوسيط الباكستاني، كاشفاً عن بُعد استراتيجي أعاد رسم معادلات الحرب الباردة الثلاثية الأطراف.

يُغطّي المجلد الثاني الفترة المحورية بين يناير 1973 ويناير1974 ؛ سنة واحدة بكثافتها الدرامية الاستثنائية .يبدأ من توقيع اتفاقية باريس، ولا ينتهي إلا بالساعات الأخيرة قُبيل استقالة نيكسون .يشكّل ملف حرب أكتوبر 1973 المحور الرئيسي؛ إذ يصف لحظات الصدمة الأولى حين اندلعت الحرب بينما كان يُدير الأمور في ظل رئيس مشلول بفضيحة ووترغيت .ويُعدّ سرده للدبلوماسية المكوكية—بانتقالاته المتواصلة بطائرته بين القاهرة ودمشق وتل أبيب—من أكثر الفصول حيويةً وثراءً؛ كما يحتوي على صورة معمّقة لعلاقته بالرئيس المصري أنور السادات الذي يصفه بإعجاب صريح[1].

ج ـ سنوات التجديد(Years of Renewal, 1999)

يختتم المجلد الثالث المسيرة بتغطية سنوات 1977-1974 في عهد الرئيس جيرالد فورد . يتمحور الجزء الأكبر منه حول سقوط سايغون في أبريل1975 ، في فصول يُحسّ فيها القارئ بثقل الهزيمة رغم رصانة أسلوب كيسنجر المعتادة، إذ يُحمّل الكونغرسَ جزءاً رئيسياً من المسؤولية بتجميده المساعدات .ويُعالج كذلك ملف أنغولا وحروب التحرير الأفريقية .ويختتم بتأملات فلسفية تُعدّ وصيةً سياسية :أن عصر الهيمنة الأمريكية المطلقة بدأ يتراجع، وأن واشنطن أمام تحدي إدارة عالم متعدد الأقطاب لا السيطرة عليه.

3- الدبلوماسية(Diplomacy, 1994)

أ ـ طبيعة الكتاب وهدفه

يُمثّل هذا الكتاب قمة الإنتاج الأكاديمي لكيسنجر في مرحلة النضج الفكري؛ فهو عمل موسوعي يتجاوز تسعمئة صفحة، يتتبع تاريخ الدبلوماسية الغربية من لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر وصولاً إلى انتهاء الحرب الباردة .لا يكتفي بالسرد التاريخي المحايد بل يُقرأ في جوهره نقداً فلسفياً صريحاً للسياسة الخارجية الأمريكية وللأوهام التي تُحيط بها[2].

ب ـ الثنائية المركزية :المثالية في مقابل الواقعية

---

[1] Henry Kissinger, Years of Upheaval (Boston: Little, Brown and Company, 1982), pp. 450-613.
يُخصّص كيسنجر نحو مئة وستين صفحة لتفاصيل حرب أكتوبر 1973 والدبلوماسية المكوكية، ويكشف عن طبيعة الاتصالات السوفيتية-الأمريكية في أحرج ساعاتها التي حالت دون تحوّل الصراع إلى مواجهة نووية مباشرة.

[2] Henry Kissinger, Diplomacy (New York: Simon & Schuster, 1994), pp. 17-55.يُرسي كيسنجر في الفصلَيْن الافتتاحيَّيْن التمييزَ المنهجي بين النموذجَيْن الأمريكي والأوروبي للسياسة الخارجية، مستخدماً المقارنة التاريخية الممتدة أداةً تحليليةً مركزية في دراسة نماذج الفكر الدبلوماسي الغربي.

يُرسي كيسنجر في مطلع الكتاب ثنائيةً تحليليةً تُشكّل عموده الفقري كله :نموذجان متعارضان للسياسة الخارجية يتصارعان في التاريخ الحديث .أوّلهما النموذج الأمريكي المثالي الذي يرى أن الولايات المتحدة مدعوّة بحكم قيمها الاستثنائية لنشر الديمقراطية وتحقيق العدالة في العالم، وقد جسّده وودرو ويلسون بمشروعه الأممي وعصبة الأمم .وثانيهما النموذج الأوروبي الواقعي القائم على موازين القوى والمصالح المحسوبة، وقد جسّده بسمارك عبقريُّ السياسة الواقعية في القرن التاسع عشر .ويرى كيسنجر أن المثالية الأمريكيةـــعلى نبلهاـــقادت إلى قرارات بالغة الكلفة لأنها تفترض أن العالم يمكن إعادة تشكيله على الصورة الأمريكية، وهو وهم ينتج إما التدخل العسكري غير المحسوب أو الانسحاب الانعزالي المتطرف.

ج ـ بسمارك والنموذج البسماركي :عبقرية التوازن وحدوده

يُكرّس كيسنجر قسماً مهماً لتحليل النظام الأوروبي في القرن التاسع عشر ولا سيما» نظام الكونسرت «الذي أرساه مؤتمر فيينا1815 ، ثم طوّره بسمارك إلى بناء أكثر تعقيداً وبراعةً .يرى كيسنجر في بسمارك نموذجاً نادراً للسياسي الذي يُدرك في آنٍ واحد حدود القوة وضرورات الاعتدال؛ فقد شنّ ثلاث حروب وحقق توحيد ألمانيا في غضون عقد، ثم أمضى ثمانية عشر عاماً يُرسّخ استقرار النظام الذي بناه بدلاً من توظيف القوة الألمانية المتنامية لتغييره .وهنا يكمن الدرس الأعمق :أن عظمة السياسي لا تُقاس بما يكسب من حروب بل بما يبني من استقرار يتجاوز حضوره.

غير أن الكتاب يُنبّه أيضاً إلى نقطة ضعف النموذج البسماركي الجوهرية :أنه قام على عبقرية فرد استثنائي لا على بنية مؤسسية راسخة، فما إن رحل بسمارك حتى انهار التوازن الذي أقامه في غضون عقدَين وأفضى ذلك الانهيار إلى الحرب العالمية الأولى .وفي هذا درس بالغ للولايات المتحدة :ضرورة بناء نظام دولي يقوم على مؤسسات تتجاوز الأفراد.

د ـ القرن العشرون :من فرساي إلى نهاية الحرب الباردة

يختتم كيسنجر الكتاب بقراءة تاريخية للقرن العشرين من منظوره الواقعي .يُحلّل فشل نظام فرساي 1919 مُعزياً إياه جزئياً إلى هيمنة الروح الويلسونية؛ فقد أملت الدول المنتصرة شروطاً إذلالية على ألمانيا المهزومة دون أن تُشركها في النظام الجديد، فكانت النتيجة أرضاً خصبة لصعود هتلر .أما الحرب الباردة فيُقرّ بأن احتواء السوفييت كان صحيحاً في جوهره لكن التطبيق انحرف أحياناً عن حدوده الرشيدة .ويرى أن نهاية الحرب الباردة فتحت حقبة يواجه فيها العالم تعدداً في الأقطاب لم تعرف له أمريكا تجربة تاريخية تُرشدها.

4- النظام العالمي(World Order, 2014)

كتبه كيسنجر في عامه الحادي والتسعين وهو ما أضفى عليه طابع الوصية الفكرية الختامية . يطرح الكتاب سؤالاً مركزياً واحداً :هل يملك العالم المعاصر بتعدد ثقافاته وحضاراته لغةً مشتركةً حول ما يعنيه» النظام الدولي «ومفهوم» الشرعية الدولية«؟ والجواب الذي يقدّمه كيسنجر شبه قاطع :لا .وهذا الغياب في رأيه يُمثّل التهديد الأعمق للسلم الدولي في القرن الحادي والعشرين، أعمق بكثير من التهديدات العسكرية التقليدية[1].

يستعرض الكتاب أربعة تصوّرات تاريخية كبرى للنظام الدولي يتعايش أتباعها في عالم اليوم دون توافق حقيقي :أوّلها النموذج الأوروبي الويستفالي المنبثق من معاهدات السلام عام 1648 التي وضعت حداً لحروب الدين وأسّست لمبدأ السيادة الوطنية ركيزةً للنظام الدولي .وثانيها النموذج الأمريكي الذي جمع بين هذه السيادة الويستفالية ودافع التبشير الليبرالي بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، ما أوجد توتراً بنيوياً بين منطق السيادة ومنطق التدخل الإنساني .وثالثها النموذج الإسلامي الكلاسيكي الذي يرى الأمة الإسلامية وحدةً سياسية-دينية عابرة للحدود ولا يعترف بالنظام الويستفالي إطاراً نهائياً .ورابعها النموذج الصيني المرتكز على تصوّر الصين مركز الحضارة الأرفع لا مجرد قوة من بين القوى، وهو تصوّر يصعب الملاءمة بينه وبين منطق المساواة بين الدول.

يُخصّص كيسنجر قسماً واسعاً لتحليل الصعود الصيني واستحقاقاته الاستراتيجية .يُحذّر من أن صعود قوة كبرى على حساب القوة المهيمنة أفضى تاريخياً إلى الصراع—وهو ما يُعرف بـ»فخ ثوسيديدس—«غير أنه يرى أن الحتمية ليست مطلقة، وأن على الطرفَين الأمريكي والصيني إدارة التنافس بوعي استراتيجي يمنع الانزلاق نحو المواجهة .ويُلاحظ أن الصين لا تسعى إلى تصدير نموذجها الحضاري بل إلى استعادة مكانتها التاريخية مركزاً لا مجرد قوة دولية، وهذا التصوّر بحد ذاته يُولّد توتراً بنيوياً مع المنظومة الدولية القائمة على مساواة الدول في السيادة.

[1] Henry Kissinger, World Order (New York: Penguin Press, 2014), pp. 1-27. يُعرّف كيسنجر النظامَ الدولي بأنه المفهوم الذي تحمله منطقة بعينها عن طبيعة الترتيبات العادلة وتوزيع القوة، مُؤكِّداً أن العصر الراهن يشهد تعارضاً جوهرياً بين تصوّرات الفاعلين الكبار مما يجعل بناء توافق دولي مستدام التحدي الاستراتيجي الأعمق للقرن الحادي والعشرين.

يختتم كيسنجر الكتاب بتحليل التحدي الذي تُفرزه الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي والأسلحة الإلكترونية على الأمن الدولي .يرى أن الردع النووي الكلاسيكي قام على وضوح الجهة الفاعلة وإمكانية انتساب الهجوم وبالتالي تهديد الانتقام المتبادل .أما الحرب الإلكترونية فتُضفي على الصراع طابع الغموض، إذ يصعب انتساب الهجمات وتُشنّ في زمن السلم بقدر ما تُشنّ في زمن الحرب وتطال البنى التحتية المدنية، وهو ما يجعل معادلات الردع الموروثة من الحرب الباردة قاصرة عن استيعاب الواقع الجديد .الخطر الحقيقي—في رأيه—لا يكمن في القرار الواعي بشنّ حرب بل في التصعيد غير المُسيطر عليه الناجم عن سوء تقدير أو عن هجوم إلكتروني يُساء تفسير ردّه الفعل.

يبقى كيسنجر شخصيةً إشكاليةً بامتياز :يستحيل تجاهله ويصعب اعتناقه كاملاً .فهو المفكّر الذي أنتج بعضاً من أرقى التحليلات في تاريخ الفلسفة السياسية الدولية، والسياسي الذي اتخذ قرارات كانت تكلفتها الإنسانية باهظةً في كمبوديا وتشيلي وتيمور الشرقية .هذا التناقض الصارخ بين النظرية الباهرة والممارسة المثيرة للجدل هو بالضبط ما يجعله مادةً أكاديميةً لا تنضب وشخصيةً لا يمكن لأي درس في العلاقات الدولية أن يتجاوزها.

المحاضرة الثامنة : الاتفاقيات والمعاهدات والمراسلات الغربية

تُعَدّ الوثائق الدبلوماسية من اتفاقيات ومعاهدات ومراسلات بين القوى الغربية والدول أو الحركات العربية من أهمّ المصادر المكتوبة لقراءة تاريخ الوطن العربي الحديث؛ إذ تعكس بصورة رسمية تصوّرات القوى الاستعمارية لمستقبل المنطقة وحدودها ونظمها السياسية .وقد بيّن الباحث محسن محمد صالح في دراسته التأسيسية للقضية الفلسطينية أن جذور هذه القضية تمتد إلى منظومة من الوثائق الدبلوماسية المتشابكة التي رسمت مصير المنطقة بمعزل عن إرادة سكانها،[1] وهو توصيف ينسحب بدرجات متفاوتة على سائر أقطار الوطن العربي.

أما المؤرخ عبد الوهاب الكيالي فقد أكد في مستهل دراسته التاريخية أن الوثائق الرسمية البريطانية والصهيونية التي اعتمد عليها تُمثّل المصدر الأصدق والأدق لفهم المراحل المتعاقبة من تاريخ فلسطين الحديث، لأنها تُسجّل ما دار في الكواليس بعيدًا عن الخطاب العلني[2].

[1] محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية :خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، بيروت :مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، طبعة مزيدة ومنقحة، 2012، ص .20-17

[2] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1970، ص .15-13

وقد أسهمت اتفاقيات مثل سايكس-بيكو (1916)، ومقررات مؤتمر سان ريمو (1920)، ووعد بلفور(1917) ، ومراسلات الشريف حسين –ماكماهون (1916-1915)، واتفاقيات إيفيان (1962)، في إعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة وتأسيس أنماط جديدة من التبعية أو الاستقلال الشكلي .ويرى المؤرخ الاقتصادي عبد العزيز الدوري أن الفهم الحقيقي للبنية الاقتصادية والسياسية للمنطقة العربية يمر حتمًا عبر تحليل الوثائق التي رسمت علاقة العرب بالنظام الدولي الحديث[1].

:تعريف الاتفاقيات والمعاهدات والمراسلات

أولًا :المعاهدة في القانون الدولي –التعريف والأنواع

تُعرَّف المعاهدة في الفقه القانوني الدولي بأنها اتفاق مكتوب بين أشخاص القانون الدولي –دول أو منظمات دولية –يهدف إلى إنتاج آثار قانونية وينظَّم بواسطة أحكام هذا القانون .وقد أرست اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام 1969الإطار التقنيني الأمثل لهذه الأداة الدبلوماسية .ويُفرّق الأستاذان بطرس غالي وعبد الحميد بدوي بين ثلاثة مستويات من الإلزام القانوني :المعاهدات المُلزِمة التي تُرتّب حقوقًا والتزامات نافذة، والاتفاقيات الإطارية التي تضع مبادئ عامة يُبنى عليها تشريع لاحق، والبروتوكولات التي تُكمل معاهدات قائمة أو تُعدّل بنودها[2].

ومن الناحية الوظيفية، تتوزع الاتفاقيات في سياق الوطن العربي الحديث على ثلاثة أنماط رئيسية : اتفاقيات تأسيسية تُنشئ كيانات قانونية جديدة كصكوك الانتداب، وتوزيعية تُقسّم الأراضي ومناطق النفوذ كاتفاقية سايكس-بيكو، وإجرائية تُنظّم الانتقال من وضع استعماري إلى آخر كاتفاقيات إيفيان.

وفي سياق الوطن العربي الحديث، أخذت هذه الصيغ القانونية أشكالًا عملية متعددة:

- المعاهدات السرية لتقسيم النفوذ :كاتفاقية سايكس-بيكو التي وُقّعت دون أي علم من الأطراف العربية المعنية.
- قرارات المؤتمرات الدولية :كمقررات سان ريمو التي اكتسبت صفة القرار الجماعي لدول الحلفاء المنتصرة.
- الاتفاقيات الثنائية لإنهاء الحقب الاستعمارية :كاتفاقيات إيفيان (1962)بين فرنسا والحكومة المؤقتة الجزائرية.
- وثائق الانتداب الصادرة عن عصبة الأمم :التي أعطت الغطاء القانوني الدولي للسيطرة الأوروبية على المشرق.

ثانيًا :الاتفاقية –الفروق الاصطلاحية

[1] عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت :دار الطليعة، 1969، ص .11-9

[2] بطرس غالي وعبد الحميد بدوي، الوسيط في القانون الدولي العام، القاهرة :دار النهضة العربية، 1980، ص .205-203

غالبًا ما يُستخدم مصطلحا)المعاهدة (و)الاتفاقية (بالتبادل في الممارسة الدبلوماسية الحديثة، غير أن الفقه القانوني يُميّز عادةً بين المعاهدة ذات الطابع السياسي الواسع كمعاهدات السلام والتحالف، والاتفاقية ذات الطابع الفني أو القطاعي كاتفاقيات التجارة وحقوق الإنسان .أما في التاريخ العربي الحديث فقد جمعت الاتفاقيات الكبرى بين هذه الأنواع في آنٍ واحد؛ إذ كانت سايكس-بيكو توزيعيةً سياسيةً، وصكوك الانتداب تأسيسيةً قانونيةً، في حين جمعت اتفاقيات إيفيان بين الإجرائي والتأسيسي وفق طبيعة المرحلة الانتقالية الاستثنائية التي أفرزتها.

ثالثًا :المراسلات الدبلوماسية –تعريفها وأنواعها وخصائصها

المراسلات الدبلوماسية رسائل متبادلة بين حكومات أو ممثلين رسميين تتضمّن مواقف سياسية أو تعهدات أو تفاهمات حول قضايا معينة .وتتنوع وفق طبيعتها إلى :مراسلات ثنائية مباشرة كمراسلات حسين-ماكماهون، ومذكرات رسمية علنية كوعد بلفور، وتقارير دبلوماسية سرية تعكس المواقف الداخلية للحكومات بمعزل عن خطابها العلني.

وتنفرد المراسلات الدبلوماسية بخاصية جوهرية تُميّزها عن المعاهدات الرسمية :فهي كثيرًا ما تنطوي على صياغة مُتعمَّد غموضها لإتاحة تأويلات متعددة وفق مقتضيات المرحلة، وهو ما يجعل دراستها أكثر تعقيدًا وأشد إثارة من الناحية التاريخية .فالمراسِل يحتفظ دائمًا بهامش من الإنكار أو إعادة التفسير تُتيحه مرونة اللغة الدبلوماسية التي ابتكرتها الممارسة الأوروبية لمثل هذه الأغراض.

القيمة التاريخية للوثائق الدبلوماسية بوصفها مصادر أوّلية

تحتل الوثائق الدبلوماسية مكانة مرموقة في هرمية المصادر التاريخية، إذ تجمع بين ميزتين نادرًا ما تجتمعان :الرسمية القانونية التي تجعلها مُلزِمة أو شبه مُلزِمة للأطراف المعنية، والخصوصية الوثائقية التي تحمل توقيعات وتواريخ وسياقات موثّقة قابلة للتثبّت .وهذا ما يُميّزها عن المذكرات الشخصية التي تفتقر إلى الرسمية، وعن الخطب السياسية التي تفتقر إلى الخصوصية الموثّقة . ويُضاف إلى ذلك أن هذه الوثائق كثيرًا ما تحمل في طياتها تناقضات ذاتية تُفيد المؤرخ الناقد في كشف الفجوة بين ما يُعلَن وما يُضمَر

.دور هذه الوثائق كمصدر لكتابة تاريخ الوطن العربي

أولًا :ضبط الإطار الزمني والقانوني للأحداث

تُحدّد المعاهدات والاتفاقيات تواريخ دقيقة لتحويلات كبرى، مثل إنهاء الانتداب أو الاعتراف بدولة جديدة، وتوفّر الأساس القانوني الذي استندت إليه القوى الغربية في إدارة المنطقة .فربط الانتداب بفكرة الشعوب غير القادرة على حكم نفسها وفق المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الأمم ليس مجرد صياغة إجرائية، بل هو بناء أيديولوجي مُدمَج في النص القانوني الرسمي، ما يجعل الوثيقة وعاءً للمشروعية ومرآةً للمرجعية الفكرية في آنٍ معًا.

ثانيًا :كشف منطق تقسيم المنطقة وترتيب المصالح

تُظهر نصوص سايكس-بيكو وسان ريمو كيف قُسِّمت بلاد الشام والعراق إلى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية، وكيف أُدرج وعد بلفور ضمن الصياغة القانونية لانتداب فلسطين مما أعطاه ثقلًا تجاوز الإعلان السياسي .وهذا ما يُتيح للمؤرّخ فهم الخلفية الاستعمارية لتكوّن الكيانات السياسية الحالية، والكشف عن البنية العميقة لنظام التبعية الذي أرسته هذه الوثائق.

ثالثًا :مقارنة الخطاب الرسمي بالممارسة الفعلية

تسمح المراسلات والوعود بمقارنة ما وُعِد به العرب أثناء الحرب العالمية الأولى بما نفّذته القوى الغربية لاحقًا، وبالتالي كشف تناقض الخطاب الليبرالي التحرري مع الممارسة الاستعمارية الفعلية .ومن أكثر ما يكشفه هذا التحليل المقارن ظاهرة الغموض اللغوي المُتعمَّد التي وظّفتها الدبلوماسية البريطانية أداةً لتبرير سياسات متناقضة في آنٍ واحد.

رابعًا :رصد ردود الفعل العربية وتأثير المقاومة

لا تكتمل قراءة هذه الوثائق دون تقاطعها مع مصادر الجانب العربي :من عرائض ومذكرات ومقررات مؤتمرات وطنية كمؤتمر باريس (1919)ومؤتمر دمشق .(1920)هذا التقاطع يُجاوز النظرة أحادية البعد التي ترى العرب ضحايا سلبيين، ليكشف عن هامش الفاعلية الذي مارسه الفاعلون العرب حتى في الظروف الأشد قسوة، ويُثبت أن الوثائق الدبلوماسية لا تُترجم آليًا إلى سياسات دون منافحة شعبية ونضال وطني.

دراسة نقدية لأهم المعاهدات والاتفاقيات الغربية المؤثرة في الوطن العربي :

- **اتفاقية سايكس – بيكو 1916**

السياق التاريخي : أُبرمت هذه الاتفاقية السرية أثناء الحرب العالمية الأولى بين نوفمبر 1915 ومايو 1916، بهدف اقتسام المشرق العربي العثماني في حال انتصار الحلفاء .ويرى فروكمن أن المفاوضات السرية جرت في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تُرسل وعودًا بالاستقلال إلى الشريف حسين، مما أوجد ما وصفه بـ)تعدد الوعود المتعارضة (التي أفضت إلى أزمات دائمة ومتجددة[1].

أما جيمس بار فيُحلّل الاتفاقية بوصفها أداة سياسية خام طُبخت في سرية مطبقة، وأن التفاوض بين مارك سايكس وفرانسوا جورج بيكو لم يكن يراعي حقائق المنطقة الديموغرافية والتاريخية بقدر ما كان يوزّع مناطق النفوذ وفق المصالح الاستراتيجية البريطانية والفرنسية المتنافسة[2].

ثانيًا :أهم مضامين الاتفاقية

[1] David Fromkin, A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East, New York: Henry Holt, 1989, pp. 30-32.

[2] James Barr, A Line in the Sand: Britain, France and the Struggle that Shaped the Middle East, London: Simon & Schuster, 2011, pp. 11-25.

قسّمت الاتفاقية مناطق الهلال الخصيب على النحو الآتي:

•المنطقة)أ :(نفوذ فرنسي في شمال سوريا ولبنان وأجزاء من الأناضول.

•المنطقة)ب :(نفوذ بريطاني في جنوب العراق والمناطق المتجهة نحو الخليج.

•دولتان عربيتان اسميتان :الأولى تحت الإشراف الفرنسي والثانية تحت الإشراف البريطاني.

•فلسطين :منطقة إدارة دولية خاصة تُترك لترتيبات لاحقة، وهو ما فتح الباب للمشروع الصهيوني.

ثالثًا :القراءة النقدية

لا يصحّ من الناحية المنهجية اعتبار سايكس-بيكو وحدها مسؤولة عن كل خرائط الشرق الأوسط المعاصر، إذ عُدِّلت بنودها في مؤتمرات لاحقة كسان ريمو ولوزان، كما أن الحروب والتحولات الداخلية غيّرت بعض الحدود .غير أنها تكشف بوضوح منطق تقسيم الغنائم بين الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية وغياب أي تمثيل فعلي للإرادة العربية .كما ينبغي تجاوز توظيفها أسطورةً تفسيريةً وحيدة لكل أزمات المنطقة دون الانتباه إلى دور النخب المحلية والخيارات الداخلية في تكريس هذه التقسيمات أو مقاومتها.

- **مؤتمر سان ريمو 1920**

أولًا :السياق والأطراف

انعقد مؤتمر سان ريمو في أبريل 1920بإيطاليا بوصفه امتدادًا لمؤتمر الصلح في باريس، وضمّ قادة الحلفاء المنتصرين للبتّ في مصير الولايات العثمانية في المشرق .وقد وثّق هنري لورانس في دراسته المعمّقة أن قرارات سان ريمو لم تكن ارتجالية بل كانت ترسيخًا دوليًا مُقنّنًا للاتفاقات السرية التي سبقتها، وتحويلًا لها من حبر على ورق إلى نظام قانوني نافذ تحت مظلة عصبة الأمم[1].

ثانيًا :القرارات الأساسية

أقرّ المؤتمر نظام الانتداب على أساس المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الأمم، وقرّر:

•منح فرنسا انتدابًا على سوريا ولبنان، مما أفضى فورًا إلى طرد الملك فيصل من دمشق.

•منح بريطانيا انتدابًا على فلسطين وبلاد ما بين النهرين)العراق.(

•إدراج وعد بلفور ضمن صك الانتداب على فلسطين، أي إعطاءه إطارًا قانونيًا دوليًا مُلزِمًا.

[1] Henry Laurens, La Question de Palestine, t. 1: 1799–1922, Paris: Fayard, 1999, pp. 423-441.

ثالثًا :الأثر التاريخي والنقد

يُعدّ سان ريمو اللحظة التي تحوّلت فيها الترتيبات السرية إلى واقع قانوني دولي معترف به .غير أن فكرة الانتداب بوصفه وصايةً حضاريةً على شعوب غير مهيأة للاستقلال لم تكن سوى غطاء يُخفي منطق السيطرة الاستعمارية طويلة الأمد .وقد جاءت الثورة السورية الكبرى (1925-1927)وثورة العشرين في العراق (1920)شاهدتين على رفض الشعوب العربية لهذه التصنيفات وعلى حيويتها السياسية في مواجهة الانتداب.

- **وعد بلفور 1917**

أولًا :مضمون الوعد

هو رسالة مؤرّخة في الثاني من نوفمبر 1917من وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور إلى اللورد روتشيلد، تُعلن فيها حكومة بريطانيا تعاطفها مع إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، بشرط ألا يُمسّ الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فيها .ويُوضّح أنيس الصايغ في الموسوعة الفلسطينية أن هذا الوعد يُمثّل تحولًا استراتيجيًا جوهريًا في موقف القوى الكبرى، إذ انتقلت من الحياد الشكلي إلى الانحياز الصريح للمشروع الصهيوني[1].

ثانيًا :الإدماج القانوني عبر الانتداب

اكتسب الوعد ثقله الفعلي حين أُدرج في صك الانتداب البريطاني على فلسطين الصادر عن عصبة الأمم، فصار التزامًا دوليًا يربط وجود بريطانيا في فلسطين بواجبها في تسهيل المشروع الصهيوني .وقد رصد وليد الخالدي في دراسته الفوتوغرافية والتاريخية لفلسطين قبل النكبة كيف ترجم هذا الوعد على أرض الواقع من خلال تشجيع الهجرة اليهودية وتمكين مؤسسات الاستيطان في مواجهة الأهالي الفلسطينيين[2].

ثالثًا :القراءة النقدية

يُنتقد وعد بلفور لأسباب عدة :أنه تجاهل الأغلبية العربية الساحقة في فلسطين، وأنه أضفى شرعية دولية على مشروع استيطاني على حساب سكان أصليين، وأنه استُخدم لتبرير سياسات مصادرة الأراضي وتهجير الفلسطينيين .ويبرز هنا ما يمكن تسميته بالأداتية اللغوية :فصياغة)لا يُنتقص من الحقوق المدنية والدينية (سمحت عمليًا بإهدار الحقوق السياسية الجوهرية مع الحفاظ الشكلي على حرية العبادة، ما يكشف عن طابع التضليل المُدمَج في اللغة الرسمية للوثيقة الاستعمارية.

- **مراسلات الشريف حسين –ماكماهون (1915-1916)**

أولًا :طبيعة المراسلات وسياقها

---

[1] أنيس الصايغ ، الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول :القسم العام، 4مجلدات، بيروت :هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984، ص 341-343.

[2] وليد الخالدي، قبل الشتات :التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني، 1876-1948، بيروت :مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987، ص 59-63.

هي سلسلة رسائل بين الشريف حسين بن علي شريف مكة والمندوب السامي البريطاني في مصر السير هنري ماكماهون، دارت بين يوليو 1915ومارس 1916، وتناولت شروط قيام ثورة عربية ضد العثمانيين مقابل اعتراف بريطانيا بدولة عربية مستقلة .وقد ضمّ الكيالي هذه المراسلات ملحقًا وثائقيًا في دراسته التاريخية، مستنتجًا أن الإنجليز باعوا العرب كلامًا مطاطًا مليئًا بالعبارات التي تُلزم ولا تُلزم في آنٍ معًا[1].

ثانيًا :الخلاف حول الحدود والصياغة

أقرّ ماكماهون من حيث المبدأ بدعم دولة عربية في معظم المشرق، لكن الرسائل تضمّنت استثناءات غامضة حول المناطق الواقعة)غرب دمشق وحمص وحماة وحلب .(وقد استُخدم هذا الغموض المُتعمَّد بعد الحرب لتبرير إخراج سوريا ولبنان وفلسطين من نطاق وعد الاستقلال، بالتوازي مع تطبيق سايكس-بيكو وسان ريمو .وكان الفروكمن قد رصد هذه الظاهرة واصفًا إياها بأنها نمط ممنهج في السياسة البريطانية لتلك الحقبة[2].

ثالثًا :القيمة التاريخية والنقدية

توفّر هذه المراسلات مثالًا صارخًا على سياسة الوعود المتعارضة :ففي الوقت ذاته كانت بريطانيا تعد العرب بدولة مستقلة، وتتفاوض مع فرنسا وروسيا على تقسيم المنطقة، وتقدّم تعهدًا آخر للحركة الصهيونية .ومن ثَمّ فإن الدرس المنهجي المستخلص هو ضرورة تقاطع الوثائق الأوّلية مع بعضها في شبكة تحليلية متكاملة، بدلًا من قراءة كل وثيقة منعزلة عن السياق المتشابك الذي أُنتجت فيه.

اتفاقيات إيفيان 1962

أولًا :السياق التاريخي

جاءت اتفاقيات إيفيان تتويجًا لمفاوضات مضنية بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لإنهاء حرب التحرير الجزائرية .(1962-1954)وتنفرد التجربة الجزائرية بأنها خرجت من رحم كفاح مسلح منظّم، وهو ما يجعلها وفق تحليل الشنقيطي للأزمات الدستورية في الحضارة الإسلامية نموذجًا لتحرير فرّق بين الاستقلال المُنتزَع الناتج عن كفاح فعلي والاستقلال الممنوح الذي يُكرّس نفوذ القوة الاستعمارية بأدوات جديدة[3].

ثانيًا :أبرز البنود

- وقف إطلاق النار ابتداءً من 19مارس .1962
- استفتاء تقرير المصير الذي أسفر عن إعلان استقلال الجزائر في 5يوليو .1962

---

[1] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص .55-47

[2] David Fromkin, A Peace to End All Peace, op. cit., pp. 188-199.

[3] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء الثالث :مع ركب الثورة التحريرية، الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص .816-806

•ترتيبات للوجود العسكري الفرنسي المحدود في مرسى الكبير لفترة انتقالية.

•تعاون اقتصادي في مجال النفط والغاز الصحراوي يضمن استمرار مصالح فرنسا.

•ضمانات لحقوق الأقلية الأوروبية)الأقدام السوداء (في الجزائر المستقلة.

ثالثًا :القراءة النقدية

تُبرز إيفيان نموذج الاستقلال المتفاوض عليه بعد حرب استعمارية طويلة :فقد حققت الجزائر سيادة دولية معترفًا بها، لكنها دخلت في شبكة من الترتيبات الاقتصادية تجعل مرحلة ما بعد الاستقلال مسرحًا لاستمرار نفوذ فرنسا بأدوات جديدة .وبالمقارنة مع نماذج استقلال العراق وسوريا، تُظهر التجربة الجزائرية أن وزن الكفاح المسلح المنظّم يُوجد هامشًا أوسع لفرض شروط أكثر توازنًا على القوة الاستعمارية، دون أن يعني ذلك قطيعةً تامة مع الموروث الاستعماري في السياسة الاقتصادية.

المحاضرة التاسعة : الصحف الدوريات ودورها في كتابة التاريخ

ـــــالتعريف اللغوي

يرجع مصطلح» الصحيفة «في اللغة العربية إلى الجذر الثلاثي (ص.ح.ف) ، وهو ما يدل على البسط والانتشار؛ قال ابن منظور في» لسان العرب» :«الصحيفة :الكتاب، والجمع صُحُف وصَحائف [1].«أما في اللغات الأوروبية فإن مصطلح Journal مشتق من الكلمة اللاتينية diurnalisأي اليومي، وهو ما يعكس الطابع اليومي الذي ميّز الصحافة منذ نشأتها الأولى في أوروبا القرن السابع عشر[2].

ـــــالتعريف الاصطلاحي عند العلماء والمختصين

اجتهد العلماء والمختصون في وضع تعريفات دقيقة للصحيفة تستوعب أبعادها المختلفة؛ فقد عرّفها الدكتور محمد عبد القادر حاتم بأنها» :مطبوع دوري يصدر بانتظام في مواعيد محددة، يتضمن أخباراً وتعليقات ومواد متنوعة تتعلق بأحداث الساعة، ويُوزَّع على جمهور عريض من القراء [3].

---

[1]لسان العرب، ابن منظور، مادة) صحف(، دار صادر، بيروت، ط3،1414 هـ.

[2]Gilles Feyel, La presse en France des origines à 1944, Ellipses, Paris, 1999, p.7.

[3]محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والمجتمع، دار الشروق، القاهرة،1975 ، ص.42

أما المؤرخ الفرنسي أوجين هاتان (Eugène Hatin) في مؤلفه الرائد حول تاريخ الصحافة الفرنسية، فقد اعتبر الصحيفة» :الذاكرة الحيّة للشعوب، إذ تُثبِّت في صفحاتها كل ما يجري في العالم من أحداث يوماً بيوم [1].

وفي إطار علم المكتبات والمعلومات، عرّفها الباحث إبراهيم عبد الله المسلمي في معجمه الموسوعي بأنها» :مطبوعة دورية تصدر يومياً أو أسبوعياً، وتتضمن أخبار الأحداث الجارية في مجالات شتى كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، وتُوزَّع على نطاق جغرافي واسع [2].

وقد أضافت منظمة اليونسكو في تقاريرها بُعداً وظيفياً إلى هذا التعريف، إذ اعتبرت الصحيفة : »وسيطاً إعلامياً يُسهم في بناء الرأي العام ويُهيئ المعلومات اللازمة للمواطن للمشاركة الفاعلة في الحياة الديمقراطية [3].

وفي السياق العربي، ذهب الباحث يحيى شامي في كتابه» الصحافة العربية في نشأتها وتطورها « إلى أن الصحيفة هي» :كل ورقة مطبوعة تصدر بصفة دورية منتظمة، تحمل أخباراً وآراء عن الشؤون المحلية والدولية، وتُمثّل صوت المجتمع ومرآة تعكس همومه وطموحاته[4].

ـــ الخصائص الجوهرية للصحيفة

تتميز الصحيفة عن سائر المطبوعات بجملة من الخصائص الجوهرية التي رسّخها الباحثون في هذا المجال:

الدورية الانتظامية :إذ تصدر في مواعيد محددة ومنتظمة، مما يجعلها مرجعاً زمنياً يُمكن الباحثَ من تتبع تسلسل الأحداث بدقة متناهية.

- العمومية والشمولية :تتناول الصحيفة موضوعات متعددة المجالات) سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، رياضية(...، وهو ما يجعلها مرآة أمينة للحياة في عصرها.
- الآنية :ارتباطها الوثيق بالحدث الراهن ونقله في أقرب وقت ممكن، وهذا ما يُضفي عليها قيمة توثيقية فريدة لا تتوفر في غيرها من المصادر.
- الانتشار الجغرافي :توزيعها على نطاقات جغرافية متسعة) محلية، وطنية، إقليمية، دولية(، مما يُوسّع من أثرها التوثيقي ويُثري التنوع في الروايات والتفسيرات.
- الاستمرارية :تواصل إصدارها عبر الزمن بحيث تُشكّل أرشيفاتها سجلاً تاريخياً متكاملاً يمتد لعقود بل لقرون.

ثانياً :تعريف الدورية ـــ مفهومها وأنواعها

---

[1] Eugène Hatin, Histoire politique et littéraire de la presse en France, vol.1, Paris, 1859, p.3.

[2] إبراهيم عبد الله المسلمي، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض،1996 ، ص.310

[3] UNESCO, World Communication Report, Paris, 1989, p.55.

[4] يحيى شامي، الصحافة العربية في نشأتها وتطورها، دار الفكر العربي، بيروت،1992 ، ص.18

ـــ التعريف الاصطلاحي

يُعدّ مصطلح» الدورية (Periodical) «أشمل وأوسع من مصطلح» الصحيفة«، إذ يضم كل مطبوع يصدر على فترات زمنية منتظمة متباعدة نسبياً، سواء أكانت شهرية أم فصلية أم سنوية . وقد عرّفها الباحث أولريش ريكليفس (Ulrich Ricklefs) بأنها» :كل منشور يصدر على دفعات متتالية تحمل ترقيماً متصلاً ولا تحدد نهاية مسبقة لإصداره [1].

أما الباحث سامي منصور فيرى في دراسته المعنونة» المصادر التاريخية الدورية «أن الدورية هي» :كل وعاء معرفي يصدر بصفة منتظمة ومستمرة، يجمع بين دفتيه مقالات ودراسات وبحوثاً في موضوع أو موضوعات متعددة، ويمثل مستودعاً للإنتاج الفكري والعلمي في حقبة زمنية معينة [2].

ـــ أنواع الدوريات

تتعدد أنواع الدوريات وتتشعب بحسب معايير التصنيف المعتمدة، ويمكن إجمالها في المحاور التالية:

- الدوريات العلمية المتخصصة :(Scientific Journals) تصدر عن جامعات ومراكز بحثية، وتتضمن دراسات أكاديمية محكّمة في تخصصات دقيقة .وهي المصدر الأثمن للتأريخ العلمي نظراً لصرامتها المنهجية.
- المجلات الثقافية والأدبية :تعنى بالإنتاج الإبداعي والنقدي والفلسفي، وتُوثّق الحياة الثقافية والفكرية في عصرها.
- المجلات السياسية والاستراتيجية :تتناول الشؤون الجيوسياسية وتحليل العلاقات الدولية وتوازنات القوى.
- النشرات الدورية :(Bulletins) تصدرها الهيئات الرسمية والمنظمات الدولية لنشر قراراتها وتقاريرها ومراسيمها.

الحوليات والفصليات :(Annals & Quarterlies) تصدر مرة إلى أربع مرات في السنة وتتميز بعمقها التحليلي وثرائها الوثائقي.

ثالثاً :أهمية الصحف والدوريات في كتابة التاريخ

ـــ الصحف والدوريات كمصادر تاريخية أولية

يُصنّف المؤرخ الفرنسي الكبير مارك بلوك (Marc Bloch) في كتابه " دفاع عن التاريخ أو مهنة المؤرخ" الصحافةَ ضمن المصادر التاريخية الأولية(Primary Sources) ، معتبراً إياها

---

[1] Ulrich Ricklefs, Periodical Publications: Definition and Typology, IFLA Journal, vol.12, 1986, p.198.

[2] سامي منصور، المصادر التاريخية الدورية، مجلة التاريخ والمستقبل، القاهرة، العدد4 ،1998 ، ص.77.

شهادةً مباشرة على عصرها» :كل أثر تركه الماضي — مهما بدا عادياً — يحمل في طياته معلومة تاريخية نفيسة لمن يحسن استجوابه [1].
وعلى هذا النهج ذهب المفكر ابن خلدون من قبل حين أكد ضرورة التمحيص والنقد في التعامل مع المصادر المكتوبة، مؤكداً أهمية السياق في قراءة كل وثيقة تاريخية[2].
وقد أضاف المؤرخ الثقافي روجيه شارتييه (Roger Chartier) بُعداً آخر، إذ رأى أن المطبوعات الدورية لا تُسجّل الأحداث فحسب، بل تُشكّل الوعي الجمعي بها وتصنع التأويلات السائدة عنها[3].

—الوظائف التاريخية الكبرى

أ .توثيق الأحداث في آنيتها

تتميز الصحيفة عن سائر المصادر بأنها تُسجّل الحدثَ في اللحظة التي يقع فيها أو قريباً منها، قبل أن تتدخل الذاكرة الانتقائية في تشكيل الرواية .وقد أشار الباحث صالح أبو إصبع إلى أن »الصحيفة هي الذاكرة الحيّة للمجتمع، تُسجّل ما يفضّل الرسميون نسيانه في أحيان كثيرة . [4]

ب .رصد الرأي العام والمزاج الجمعي

تتيح الصحف للمؤرخ الاطلاع على ردود الفعل الشعبية الآنية تجاه الأحداث الكبرى، وهو ما يصعب الوصول إليه عبر الوثائق الرسمية وحدها .وقد أبرز لوسيان فيبر (Lucien Febvre) هذه الوظيفة في أعماله حول تاريخ العقليات، مؤكداً أن الصحافة تكشف عن» أطر التجربة الحياتية المشتركة «التي يصعب رصدها في غيرها من المصادر[5].

ج .التحقيب الزمني الدقيق

تُسهم الصحف في تحديد التواريخ الدقيقة للأحداث وتأطيرها في سياقها الزمني، وهو ما يُعدّ من الوظائف التأريخية الجوهرية .وقد نبّه قاسم عبده قاسم في مؤلفه» مناهج البحث التاريخي" إلى أن الصحافة اليومية " تُمدّ المؤرخ بإطار زمني دقيق يصعب إعادة بنائه من مصادر أخرى . [6]

د .الكشف عن السياق والتداعيات الفورية

تُصوّر الصحف الأجواءَ السياسية والاجتماعية والمزاجية التي أحاطت بالأحداث الكبرى، وهو ما يفتقر إليه المؤرخ حين يلجأ إلى الوثائق الرسمية الباردة .وقد أشار روبرت دارنتون Robert)

---

[1] Marc Bloch, Apologie pour l'histoire ou Métier d'historien, Armand Colin, Paris, 1952, p.68.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق :عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم، الدار البيضاء،2005 ، ص.39.

[3] Roger Chartier, The Cultural Uses of Print in Early Modern France, Princeton University Press, 1987, p.145.

[4] صالح أبو إصبع، الصحافة والديمقراطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2001 ، ص.55.

[5] Lucien Febvre & Henri-Jean Martin, L'Apparition du livre, Albin Michel, Paris, 1958, p.412.

[6] قاسم عبده قاسم، مناهج البحث التاريخي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،2008 ، ص.121.

(Darntonإلى أن المطبوعات الدورية» تُشكّل المختبر الأمثل لفهم كيف استشعر معاصرو الأحداث الكبرى معناها وأبعادها [1].

هـ .الإسهام في التأريخ الاجتماعي وتاريخ الحياة اليومية

تحتوي الصحف على مادة هائلة تخص الحياة الاجتماعية اليومية :الأسعار، والإعلانات التجارية، وأعمدة التسلية والفن والرياضة، وهي مواد نادراً ما تُعنى بها الوثائق الرسمية .وقد أكد عماد الصباغ أن هذه الجوانب تمثل» تاريخاً من تحت «لا يُستهان به في فهم المجتمعات وتحولاتها الصامتة[2].

و .التأريخ المقارن وتعدد الروايات

تُمكّن الصحف الباحثَ من إجراء مقارنات دقيقة بين الروايات المختلفة للحدث الواحد عبر صحف متعددة التوجهات والانتماءات .وقد رأى جان-نويل جانّيني (Jean-Noël Jeanneney) أن »قراءة حدث واحد في عشر صحف مختلفة تكشف من تعقيدات الواقع التاريخي ما لا تكشفه الرواية المونولوجية للمصادر الرسمية [3].

ـــ حدود الاعتماد على الصحف في كتابة التاريخ

لا تخلو هذه المصادر من إشكالات منهجية ينبغي للمؤرخ أن يأخذها بعين الاعتبار:

- الانحياز التحريري والأيديولوجي :كل صحيفة تعبّر عن توجهات سياسية وأيديولوجية معينة تؤثر في طريقة انتقاء الأخبار وتأويلها.
- الرقابة والتعتيم :في حقب استبداد أو احتلال تعمل الصحف في ظل قيود تؤثر جوهرياً في مصداقيتها.
- الأخطاء والتسرع :في خضم الأحداث الكبرى قد تُنشر معلومات غير دقيقة أو مفبركة.
- الاستراتيجيات الدعائية :قد تتحول الصحيفة إلى أداة للتأثير في الرأي العام أكثر منها للتوثيق الأمين.

لذا يوصي المنهج التاريخي العلمي بـ "مقاطعة المعطيات الصحفية مع مصادر أخرى متنوعة كالأرشيفات الرسمية والمذكرات الشخصية والدراسات الأكاديمية والمصادر الشفهية" ، وهو ما ألحّ عليه خليل صابات في دراسته حول تاريخ الطباعة العربية[4].

رابعاً :القيمة العلمية للصحف والدوريات

---

[1] Robert Darnton, The Kiss of Lamourette: Reflections in Cultural History, Norton, New York, 1990, p.79.

[2] عماد عبد الوهاب الصباغ، منهجية البحث العلمي، دار وائل، عمّان،2006 ، ص.98

[3] Jean-Noël Jeanneney, Une histoire des médias, Seuil, Paris, 1996, p.34.

[4] خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، القاهرة،1966 ، ص.201

ـــ الأصالة والمعاصرة للحدث

على خلاف المصادر الثانوية التي تُكتب بعد سنوات أو عقود من الأحداث، تتميز الصحيفة بالتزامن مع الحدث مما يجعلها وثيقة حية تعكس المزاج التاريخي في لحظته .ويُتيح هذا التزامن للباحث الاطلاع على المخاوف والتوقعات والتأويلات الأولى التي سادت قبل أن تُعيد الأجيال اللاحقة صياغة الرواية.

ـــ الثراء الكمي والكيفي في المعطيات

تزخر الصحف والدوريات بأنواع متعددة من المعطيات :إحصاءات اقتصادية، وبيانات ديموغرافية، ولوائح تشريعية، وخطابات سياسية، وإعلانات تجارية تعكس البنى الاقتصادية في عصرها .بل إن الإعلانات التجارية تُعدّ بحد ذاتها مادة تاريخية تكشف عن أنماط الاستهلاك والبنى الاجتماعية وتحولات الأسعار والذوق العام.

ـــ الأثر التوثيقي للصور والوثائق المصورة

اضطلعت الصحف منذ مطلع القرن العشرين بنشر الصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتورية والخرائط، وهي مواد بصرية تُضيف بُعداً توثيقياً إضافياً لا يتوفر في النصوص المكتوبة وحدها . وقد منحت الصورة الصحفية للمؤرخ أداةً لفهم البُعد الإنساني للأحداث وتصوير معاناة الشعوب بما لا تستطيع الكلمات أحياناً أن تبلغه.

ـــ إمكانية التحليل المقارن والنقد التاريخي

تمكّن الصحف الباحثَ من إجراء مقارنات دقيقة بين الروايات المختلفة للحدث الواحد، إذ يمكن الرجوع إلى صحف متعددة الانتماءات والتوجهات لاستقاء صورة أكثر اكتمالاً وموضوعية .
ويستلزم التعامل العلمي مع هذه المصادر توظيف أدوات النقد التاريخي بشقيه:
النقد الخارجي :التحقق من أصالة الصحيفة وسلامة نسبها إلى التاريخ المذكور، والتثبت من عدم تعرضها للتزوير أو التحريف.
النقد الداخلي :تقييم مصداقية المحتوى بدراسة توجه الصحيفة وخلفياتها وهوية كاتب المقال ومدى كفاءته واستقلاليته.

خامساً :نماذج من الصحف الأجنبية التي تناولت الوطن العربي

أ ـــ الصحف الفرنسية

1. .لو موند(Le Monde)

تأسست جريدة» لو موند «في الثامن عشر من ديسمبر 1944 على يد المدير المؤسس هوبير بيف-مري(Hubert Beuve-Méry) ، وذلك في أعقاب تحرير فرنسا من الاحتلال النازي .كان الهدف المُعلَن لتأسيسها توفير صحيفة مرجعية جادة تسد الفراغ الذي خلّفه انهيار الصحافة الفرنسية إبان الاحتلال[1].

تتميز» لو موند «بنهج تحريري يُولي الأولوية للعمق التحليلي على حساب الإثارة .وقد اشتُهرت بشعارها غير المعلَن» :لا موضة ولا مال، لكن الحقيقة .«وهي تصدر في الغالب مساءً تاريخياً وإن تحوّلت لاحقاً إلى الإصدار الصباحي .بلغ تيراجها في أوج انتشارها نحو 400.000 نسخة يومياً، وتحتل اليوم مكانة مرجعية في الصحافة الأوروبية.

في ما يخص الوطن العربي، اضطلعت» لو موند «بدور توثيقي بالغ الأهمية في تغطية الثورة الجزائرية(1954-1962) ؛ إذ نشرت تحقيقات جريئة حول ممارسات التعذيب في المعتقلات الفرنسية، من بينها التقارير الاستقصائية التي رافقت نشر كتاب جميلة بوپاشا لسيمون دو بوفوار [2]. كما وثّقت بدقة عمليات التهجير القسري للسكان الجزائريين في إطار سياسة " التجميع " (Regroupement).[3]

وعلى صعيد القضية الفلسطينية، رصدت» لو موند «منذ نكبة 1948 تطورات الصراع العربي الإسرائيلي في مراحله الكبرى :حرب1967 ، وحرب أكتوبر1973 ، واتفاقيات أوسلو، وحرب لبنان .كما أسهمت تغطيتها لأزمة السويس عام 1956 في تشكيل الرأي العام الفرنسي المنتقد لعدوانية السياسة الغربية[4].

2. .لو فيغارو(Le Figaro)

يُعدّ» لو فيغارو «أقدم الصحف الفرنسية اليومية المتواصلة في الإصدار، إذ تأسس عام 1826 وأخذ شكله اليومي الحالي منذ عام .1866 استمد اسمه من شخصية فيغارو الكوميدية التي أبدعها الكاتب بومارشيه، رمزاً للبُعد الساخر والنقدي .يتسم بتوجه محافظ-ليبرالي وارتبط تاريخياً بالأوساط البرجوازية والنخب الثقافية الفرنسية.

في تغطيته للشأن العربي، دافع " لو فيغارو " دفاعاً صريحاً عن السياسة الاستعمارية الفرنسية في شمال أفريقيا، إذ حمل أعداد الخمسينيات والستينيات مقالات تُبرر الوجود الفرنسي في الجزائر وتُصوّر المقاومة الجزائرية باعتبارها» إرهاباً [5].«غير أن تحولاً ملحوظاً طرأ في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث بدأ الصحيفة تتبنى منظوراً براغماتياً في تناول العلاقات الفرنسية المغاربية.

ومن أبرز التحولات في تغطيته :نشر مقالات وتحليلات حول اتفاقيات إيفيان1962 ، ومتابعة الثورة في ليبيا وتونس والمغرب .وتُشكّل أعداده مصدراً تاريخياً ثميناً لفهم السياسة الاستعمارية الفرنسية وتطورها في المغرب العربي[6].

---

[1] Le Monde, «Le droit à la vérité», éditorial du premier numéro, 18 décembre 1944.

[2] محمود المسعدي، الصحافة الفرنسية والثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1988 ، ص.47

[3] Simone de Beauvoir & Gisèle Halimi, Djamila Boupacha, Gallimard, Paris, 1962. —

[4] الطاهر وطار، تجربة الصحافة الجزائرية، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد52 ،1979 ، ص.12

[5] Le Figaro, archives, «La question algérienne», série d'articles, 1955-1961.

[6] إدريس لكريني، الصحافة الفرنسية والمغرب العربي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2003 ، ص.89

3. .لو تان — (Le Temps) الشاهد التاريخي للدبلوماسية الفرنسية

صدرت» لو تان «بين عامَي 1861 و1942، وكانت تُعتبر الجريدة شبه الرسمية للدولة الفرنسية؛ إذ كانت تعكس في أغلب الأحيان توجهات وزارة الخارجية الفرنسية .لهذا السبب تحتل مكانة استثنائية في أرشيفات المؤرخين المعنيين بالسياسة الفرنسية في المشرق والمغرب العربي.
تتضمن أرشيفاتها مواد نفيسة حول مؤتمر الجزيرة الخضراء(1906) ، واتفاقية سايكس-بيكو (1916)، وانتداب فرنسا على سوريا ولبنان، وأحداث الريف المغربي .وقد وثّقت بدقة كيف كانت الدبلوماسية الفرنسية تُقارب المسألة العربية بوصفها ورقة في لعبة التوازن مع بريطانيا العظمى أولاً وألمانيا ثانياً.

ب — الصحف الإنجليزية (البريطانية)

1. ذا تايمز(The Times of London)

تأسست» ذا تايمز «عام 1785 على يد جون والتر الأول، وكانت في أول أمرها تُسمى» ذا ديلي يونيفرسال ريجيستر «قبل أن تتخذ اسمها الحالي عام .1788 لا تُعدّ» ذا تايمز «صحيفةً عادية بل مؤسسة تاريخية بامتياز؛ إذ رافقت البريطانيين منذ عصر الثورة الصناعية وحروب نابليون حتى اليوم .اشتُهرت بأنها» صحيفة السجل (The Newspaper of Record) «لبريطانيا.
في ما يتعلق بالوطن العربي، قدّمت» ذا تايمز «منذ حملة نابليون على مصر عام 1798 تغطية مستمرة للمنطقة .وقد نشرت في سبتمبر 1882 تقارير شاملة عن القصف البريطاني للإسكندرية واحتلال مصر، مُبرِّرةً ذلك باعتباره» ضرورة لصون مصالح الحضارة [1].
في نوفمبر1917 ، نشرت» ذا تايمز «وعد بلفور في شكل رسالة رسمية موجّهة إلى اللورد روتشيلد، وهو حدث مفصلي في تاريخ القضية الفلسطينية لا يمكن دراسته بمعزل عن هذا النشر الذي أضفى عليه طابع الإعلان العلني الرسمي[23].
كما رافقت» ذا تايمز «مسيرة الانتداب البريطاني في فلسطين والعراق، وتحتوي أرشيفاتها على آلاف التقارير والمقالات التي تُعدّ اليوم مرجعاً لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ الوطن العربي الحديث[4].

2. .ذا غارديان(The Guardian)

---

[1] The Times, London, «The Egyptian Question», editorial, 15 September 1882.

[2] فيليب مانسيل، القسطنطينية :عاصمة العالم1924-1453 ، ترجمة :فيليب خوري، دار الساقي، لندن،2010 ، ص.302

[3] Arthur James Balfour, letter to Lord Rothschild, 2 November 1917, published in The Times, 9 November 1917.

[4] وليد الخالدي، قبل الشتات :الوجود الفلسطيني قبل عام1948 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،1987 ، ص.44

تأسست» ذا غارديان «عام 1821 في مانشستر تحت اسم» منشستر غارديان«، وهي وليدة البيئة الصناعية الصاعدة في شمال إنجلترا .انتقلت إلى لندن وأصبحت صحيفة وطنية في ستينيات القرن الماضي .عُرفت دوماً بتوجهها الليبرالي-تقدمي وانحيازها إلى حقوق الإنسان وحركات التحرر.
في تغطيتها لأزمة السويس عام1956 ، انتقدت» ذا غارديان «بجرأة العدوان الثلاثي البريطاني-الفرنسي-الإسرائيلي على مصر، في موقف خالفت فيه التوجه الرسمي البريطاني .وقد رأت أن هذا العدوان» يُشكّل خيانة لمبادئ القانون الدولي وانتكاسة للمكانة الأخلاقية لبريطانيا في العالم[1].« على صعيد القضية الفلسطينية، تميّزت» ذا غارديان «بتغطية متعاطفة مع المعاناة الفلسطينية، وأجرت تحقيقات معمقة في أوضاع اللاجئين في مخيمات لبنان والأردن .وقد نشرت خلال الربيع العربي (2010-2012) ملفات موسعة تُحلّل الأسباب البنيوية للانتفاضات الشعبية[2].

3. .ذا ديلي تلغراف(The Daily Telegraph)

تأسست " ذا ديلي تلغراف" عام 1855 وكانت في حينه أرخص الصحف البريطانية وأوسعها انتشاراً في نهاية القرن التاسع عشر .تتسم بتوجه محافظ وارتبطت تاريخياً بالمؤسسة العسكرية والأوساط الإمبريالية البريطانية.
غطّت» ذا ديلي تلغراف «الشأن العربي من منظور استراتيجي صريح يُؤطّر الاهتمام بالمنطقة في سياق حماية المصالح البريطانية في قناة السويس والخليج العربي .وتُشكّل أرشيفاتها مرجعاً للدارسين في تطور الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية وتحولات مواقفها تجاه القومية العربية.

ج ـــ الصحف الأمريكية

1 نيويورك تايمز(The New York Times)

تأسست " نيويورك تايمز " عام 1851 على يد المحرر هنري ريموند، وشقّت طريقها تدريجياً لتُصبح " صحيفة السجلالأمريكية بامتياز " .تتوفر على أكبر شبكة من المراسلين الدوليين بين الصحف الأمريكية، وفازت بأكثر من 130 جائزة بوليتزر .أرشيفها الرقمي المتاح عبر الإنترنت منذ عام 1851 يُعدّ من أثمن الموارد الأرشيفية في العالم.
في تغطيتها للوطن العربي، حظيت الأزمة الفلسطينية باهتمام بالغ في أعمدة» نيويورك تايمز«، وإن اتّسمت هذه التغطية في مراحل عديدة بالميل نحو الرواية الإسرائيلية .بيد أن تغطيتها شهدت تحولاً ملموساً منذ مطلع الألفية الثالثة، وباتت تُقدّم روايات أكثر توازناً وعمقاً من ذي قبل.
خلال موجات الربيع العربي(2010-2012) ، أولت» نيويورك تايمز «المشهدَ العربي تغطية واسعة ومعمقة، ونشرت تقارير ميدانية استثنائية من تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن [3].وقد

---

[1] The Guardian, «Suez: A Cautionary Tale», Special Report, November 2006.

[2] مريم الطاهر، صورة العرب في الصحافة الأنجلوسكسونية، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، المجلد18 ،2002 ، ص.66

[3] The New York Times, «Arab Spring: A Year of Revolution», Special Issue, December 2011, p.A1.

أسهمت في نقل صورة الانتفاضات الشعبية إلى الرأي العام الأمريكي والعالمي، محوّلةً بذلك الضغط على الحكومة الأمريكية لاتخاذ مواقف علنية صريحة[1].
أما في تغطيتها للغزو الأمريكي للعراق عام2003 ، فيشير المنتقدون إلى أنها تبنّت في مرحلته الأولى الروايةَ الرسمية الأمريكية حول أسلحة الدمار الشامل، وهو ما اعترفت به لاحقاً في افتتاحية شهيرة .وقد غدت هذه القضية نموذجاً يُستشهد به في مناهج الصحافة النقدية حول مخاطر الانحياز المؤسسي.

2 **واشنطن بوست(The Washington Post) :** تأسست " واشنطن بوست " عام 1877، وتحتل ثقلاً استثنائياً نظراً لقربها الجغرافي والسياسي من مراكز صنع القرار في العاصمة واشنطن .اشتُهرت عالمياً بعد أن كشفت عن فضيحة ووترغيت عام 1972 على يد المحررَين بوب وودوارد وكارل برنستاين.
في الشأن العربي، انفردت» واشنطن بوست «بتحقيقات معمقة حول انتهاكات حقوق الإنسان في المنطقة؛ ولعل أبرز ما ميّزها في هذا السياق تبنّيها قضية الصحفي جمال خاشقجي الذي اغتيل في القنصلية السعودية باسطنبول في أكتوبر2018 ، وهو ما جعلها في مواجهة مباشرة مع الرياض وأثار جدلاً دولياً واسعاً[2].
تتميز» واشنطن بوست «كذلك بقربها من الأوساط الاستخباراتية والعسكرية الأمريكية، مما يجعل تقاريرها حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط مصدراً ثميناً يكشف أحياناً ما يبقى خلف الكواليس في كواليس صنع القرار[3].

3 وول ستريت جورنال(The Wall Street Journal)

تأسست " وول ستريت جورنال" عام 1889 وتختص بالشؤون الاقتصادية والمالية .تُعدّ اليوم الصحيفة الأكثر تداولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، وتمتلك نفوذاً استثنائياً في الأوساط المالية والتجارية الدولية.
في ما يتعلق بالمنطقة العربية، تُعنى» وول ستريت جورنال «أساساً بالبُعد الاقتصادي والطاقوي؛ فقد رصدت بدقة تاريخ النفط العربي منذ اكتشافاته الأولى في الجزيرة العربية، وتحولات سياسة أوبك، وحصار النفط العربي عام1973 ، وتداعياته على الاقتصاد الغربي[4].
وتتضمن أرشيفاتها مادة ثمينة حول الاستثمارات الأمريكية في الخليج، والعقود الضخمة في قطاع الطاقة، وإصلاحات اقتصادية كرؤية المملكة العربية السعودية2030 ، وهو ما يجعلها مرجعاً لا غنى عنه في تاريخ الاقتصاد السياسي للمنطقة العربية.

---

[1] عزمي بشارة، الربيع العربي وإشكاليات التحول الديمقراطي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة،2012 ، ص 27.

[2] The Washington Post, «Jamal Khashoggi: Silencing a dissident», 3 November 2018, p.A1.

[3] علي العين، حرية الصحافة في الوطن العربي، مجلة الحرية، بيروت، العدد120 ،2010 ، ص.33

[4] The Wall Street Journal, «Saudi Arabia's Vision 2030», April 25, 2016, p.B1.

سادساً :نماذج من الدوريات الأجنبية المتخصصة

أ ـــ الدوريات الفرنسية

1 المجلة الآسيوية(Journal Asiatique)

تأسست " المجلة الآسيوية " عام 1822 عن الجمعية الآسيوية الفرنسية (Société Asiatique)، وهي بذلك من أقدم الدوريات الاستشراقية في العالم .قال عنها مؤسسوها في عددها الأول» :إنها تُرسّخ الجسر المعرفي بين الحضارات الشرقية والغربية[1].«

تتميز هذه المجلة بتغطية لغوية وتاريخية وحضارية شاملة للعالم الآسيوي والإسلامي والعربي . نشرت دراسات رائدة في فك رموز المخطوطات العربية والفارسية والتركية والصينية، وأسهمت في بناء علم الاستشراق الفرنسي الأكاديمي .ومن أبرز من نشروا فيها :سيلفستر دو ساسي، وإرنست رينان، وجورجي زيدان في مرحلة لاحقة[2].

تُشكّل أرشيفاتها مصدراً لا يُستغنى عنه لدارسي تاريخ الفكر الاستشراقي الغربي وتطور تمثّله للعالم العربي والإسلامي، كما تحتوي على تصحيحات وقراءات لمصادر عربية أولية قد تكون أصولها مفقودة.

2 .الحوليات :التاريخ والعلوم الاجتماعية(Annales HSS)

تأسست " الحوليات " عام 1929 على يد المؤرخَين الفرنسيَين مارك بلوك ولوسيان فيبر، بوصفها مشروعاً ثورياً لتجديد الكتابة التاريخية .كتبا في العدد التأسيسي» :نريد تاريخاً إنسانياً حقيقياً يتجاوز أحداث الملوك والمعارك إلى البنى الاقتصادية والعقليات والجغرافيا[3].«

أسست» الحوليات «لمنهج تاريخي ثوري يُعرف بـ»مدرسة الحوليات «أو» تاريخ المدى البعيد « (Longue durée)، وهو المنهج الذي طوّره لاحقاً فيرنان برودل (Fernand Braudel) في دراسته الشهيرة عن المتوسط، التي أولت فيها أهمية قصوى لمنطقة المغرب العربي والشرق الأوسط[4].

أثّرت» الحوليات «تأثيراً عميقاً في المنهجية التاريخية المتعلقة بالمجتمعات العربية، وفتحت آفاقاً جديدة لتوظيف الصحف والوثائق الدورية في إعادة بناء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.

---

[1] Abel Pavet de Courteille, «Préface», Journal Asiatique, t.1, Paris, 1822, p.i.

[2] محمود إسماعيل صالح، مناهج المستشرقين في دراسة التراث العربي الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1996 ، ص 88.

[3] Marc Bloch & Lucien Febvre, «À nos lecteurs», Annales d'histoire économique et sociale, vol.1, n°1, 1929, p.1.

[4] Fernand Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Armand Colin, Paris, 1966, t.1, p.16.

3 **.مجلة عالم المسلمين والبحر المتوسط(REMMM) :** تصدر هذه المجلة عن جامعة إيكس-مارسيليا وتهتم بدراسة المجتمعات الإسلامية والمتوسطية .تُنشر فيها دراسات ميدانية وأنثروبولوجية وتاريخية حول التحولات السياسية والاجتماعية في المغرب العربي والمشرق، مع اهتمام خاص بالتاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمعات المسلمة المعاصرة.

ب ـــ الدوريات الإنجليزية

1 مجلة الدراسات الشرق أوسطية(Middle Eastern Studies)

تصدر هذه المجلة منذ عام 1964 عن دار نشر تايلور وفرانسيس(Taylor & Francis) ، وقد أسسها المؤرخ البريطاني ألبرت حوراني الذي كتب في مقدمة العدد الأول» :ثمة حاجة ماسة إلى دراسة الشرق الأوسط دراسة علمية رصينة تتجاوز الأحكام المسبقة وتعتمد على المصادر الأولية بمختلف أنواعها[1].«

تُعنى المجلة بالدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية للمنطقة العربية وتركيا وإيران وإسرائيل، وتستند أبحاثها كثيراً إلى الأرشيفات الصحفية كمصادر أولية .تُعدّ من أرسخ الدوريات الأكاديمية البريطانية في مجال الدراسات الشرق أوسطية.

2 .المجلة البريطانية للدراسات الشرق أوسطية (British Journal of Middle Eastern Studies) : تصدر عن الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط (BRISMES)، وهي منبر أكاديمي راسخ يضم مساهمات باحثين من مختلف أنحاء العالم . تُغطي دراساتها الأبعاد التاريخية والسياسية والثقافية والأنثروبولوجية للعالم العربي وتُوظّف بشكل منهجي الوثائق الصحفية الأرشيفية.

4. مجلة الدراسات السامية(Journal of Semitic Studies)

تصدر عن جامعة مانشستر منذ عام 1956 وتنصبّ عنايتها على الدراسات اللغوية والأدبية والحضارية للعالم السامي شاملاً العربية والعبرية والآرامية والسريانية .تُمثّل مرجعاً علمياً لا غنى عنه للباحثين في تاريخ اللغة العربية وتطور كتابتها وتراثها الأدبي.

ج ـــ الدوريات الأمريكية

1 مجلة الشرق الأوسط(Middle East Journal)

تصدر منذ عام 1947 عن معهد الشرق الأوسط في واشنطن(Middle East Institute) ، وهي من أعرق الدوريات الأمريكية المتخصصة في الشأن العربي وأكثرها تأثيراً .تتناول الأبعاد

[1] Albert Hourani, «The Arab World and the Wider World», Middle Eastern Studies, vol.1, n°1, 1964, p.3.

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأحداث المنطقة، وتضم قسماً للوثائق التاريخية الأولية تنشر فيه مراسيم وخطابات وتقارير نادرة.
تُعدّ هذه المجلة مرجعاً جوهرياً لفهم كيف أطّر صانعو القرار الأمريكيون نظرتهم إلى العالم العربي في مراحله المختلفة :منذ نشأة إسرائيل عام1948 ، مروراً بحروب النفط وحقبة الحرب الباردة، وصولاً إلى ما بعد الحادي عشر من سبتمبر.

2 مجلة الدراسات الفلسطينية(Journal of Palestine Studies)

تصدر منذ عام 1971 عن معهد الدراسات الفلسطينية الذي تأسس عام 1963 في بيروت، وتُعدّ المرجع الأكاديمي الأول في مجال تاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية في العالم الأنجلوفوني .تُنشر فيها دراسات توثيقية ووثائق أرشيفية ومذكرات شهادات وتقارير ميدانية.
من أبرز ما نشرته :دراسة وليد خالدي الشهيرة حول» خطة دالت — «الخطة الصهيونية لاحتلال فلسطين — المدعومة بوثائق أرشيفية من أرشيفات الهاغاناه وكذلك تقارير الأمم المتحدة[1].
تحتوي أرشيفاتها على مواد فريدة لا تتوفر في أي مصدر آخر، من بينها وثائق من أرشيف منظمة التحرير الفلسطينية ومقابلات مع شهود عيان على أحداث 1948 وما بعدها.

3 فصليات الدراسات العربية(Arab Studies Quarterly)

تصدر عن معهد الدراسات العربية الأمريكية، وتتميز بمقاربة نقدية تُعالج الهيمنة والهوية والمقاومة في العالم العربي .تُوظّف الصحف والوثائق الدورية توظيفاً منهجياً في تحليلاتها البنيوية للسياسة والمجتمع والثقافة العربية، مُقدِّمةً صوتاً أكاديمياً مغايراً للسرديات السائدة في الدوائر الرسمية.

[1] Walid Khalidi, «Plan Dalet: Master Plan for the Conquest of Palestine», Journal of Palestine Studies, vol.18, n°1, 1988, pp.4-33.

جدول — 1 الصحف الأجنبية الكبرى وتناولها للوطن العربي

أبرز المحاور في تناول الشأن العربي	التأسيس	البلد	الصحيفة
الجزائر، فلسطين، السويس، القومية العربية، الربيع العربي	1944	فرنسا	لو موند
الاستعمار في شمال أفريقيا، العلاقات الفرنسية المغاربية	1826	فرنسا	لو فيغارو
الدبلوماسية الفرنسية في المشرق، سايكس-بيكو، الانتداب	1861	فرنسا	لو تان
احتلال مصر، وعد بلفور، الانتداب، حروب الخليج	1785	بريطانيا	ذا تايمز
التحرر الوطني، حقوق الإنسان، القضية الفلسطينية	1821	بريطانيا	ذا غارديان
الاستراتيجية الاستعمارية، القومية العربية، الخليج	1855	بريطانيا	ذا ديلي تلغراف
الحروب العربية الإسرائيلية، الربيع العربي، العراق	1851	الولايات المتحدة	نيويورك تايمز
السياسة الأمريكية، حقوق الإنسان، حادثة خاشقجي	1877	الولايات المتحدة	واشنطن بوست
النفط، الاستثمار، رؤية2030 ، الاقتصاد الخليجي	1889	الولايات المتحدة	وول ستريت جورنال

جدول — 2 الدوريات الأجنبية المتخصصة في الشأن العربي

مجال الاختصاص والأهمية التاريخية	التأسيس	البلد	الدورية
الاستشراق، اللغات الشرقية، التراث العربي الإسلامي	1822	فرنسا	Journal Asiatique

مجال الاختصاص والأهمية التاريخية	التأسيس	البلد	الدورية
التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، تاريخ المتوسط	1929	فرنسا	Annales HSS
المجتمعات الإسلامية والمتوسطية المعاصرة	—	فرنسا	REMMM
التاريخ والسياسة والاجتماع في الشرق الأوسط	1964	بريطانيا	Middle Eastern Studies
الثقافة والأنثروبولوجيا والتاريخ العربي	—	بريطانيا	British J. of M.E. Studies
اللغويات واللغات السامية، الأدب العربي القديم	1956	بريطانيا	Journal of Semitic Studies
السياسة والاقتصاد والمجتمع في العالم العربي	1947	الولايات المتحدة	Middle East Journal
التوثيق التاريخي للقضية الفلسطينية	1971	الولايات المتحدة	Journal of Palestine Studies
الدراسات النقدية للمجتمع والسياسة العربية	—	الولايات المتحدة	Arab Studies Quarterly

تُشكّل الصحف والدوريات الأجنبية ركيزةً أساسية في منظومة المصادر التاريخية المتعلقة بالوطن العربي، إذ تُتيح للباحث الاطلاع على كيفية رؤية الآخر له وتأويله أحداثه، وهو ما يُفيد في إعادة بناء الصورة التاريخية من زوايا متعددة ومتكاملة.

وقد كشفت الدراسة أن هذه المصادر ليست محايدة على الإطلاق؛ فهي وليدة سياقاتها السياسية والاجتماعية والأيديولوجية .بيد أن هذا الانحياز ذاته يُشكّل مادةً تاريخية نفيسة :إذ يكشف كيف نظر الغرب إلى المنطقة العربية وكيف وظّف تلك النظرة في خدمة مصالحه السياسية والاقتصادية.

ولهذا يتحتّم على الباحث المنتهج منهجاً علمياً رصيناً أن يوظّف أدوات النقد التاريخي الصارمة، وأن يُقاطع معطيات هذه المصادر مع مصادر عربية أصيلة وأرشيفات رسمية ووثائق متعددة الجنسيات، حتى يبلغ درجة موثوقة من الموضوعية في إعادة بناء الماضي.

الخاتمة :

في ختام هذه المطبوعة البيداغوجية الموجَّهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، يمكن القول بثقة أن دراسة المصادر الغربية تُشكّل ركيزةً منهجية لا غنى عنها في مسيرة الباحث التاريخي، وذلك لما تنطوي عليه هذه الكتابات من معطيات وفيرة ومتنوعة تتعلق بتاريخ المنطقة العربية في حقبها الحديثة والمعاصرة.

وقد كشفت المحاضرات الثماني التي اشتملت عليها هذه المطبوعة عن جملة من الحقائق المنهجية والمعرفية الجوهرية، يمكن إجمالها فيما يلي:

■على صعيد التأصيل المفاهيمي :تبيّن أن المصادر الغربية مفهوم واسع يشمل شتى أشكال التدوين الأجنبي عن العالم العربي، من مذكرات وتقارير ورسائل وكتب رحلات وأرشيفات رسمية، وأن الاشتغال عليها يستلزم تمييزاً دقيقاً بين المصادر الأولية والمراجع الثانوية، واعتماداً صارماً لمعايير النقد التاريخي الداخلي والخارجي.

■على صعيد المؤرخين الغربيين :أظهرت الدراسة أن ثمة تبايناً واضحاً في مستوى الموضوعية بين المؤرخين الغربيين أنفسهم؛ فبينما اتّسمت كتابات بعضهم كشارل أندري جوليان وأندري نوشي بقدر من الجرأة النقدية تجاه الاستعمار، جاءت كتابات آخرين محمّلةً بالتحيز الأيديولوجي والرؤية الدونية للشعوب المستعمَرة.

■على صعيد الاستشراق :اتضح أن الحركة الاستشراقية لم تكن محايدة في معظمها، بل كانت تخدم في الغالب أهدافاً دينية وسياسية واقتصادية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالمشروع الاستعماري الأوروبي .ومع ذلك، لا يمكن إغفال ما أسهم به بعض المستشرقين من جهود توثيقية وعلمية بالغة القيمة.

■على صعيد الأرشيفات الأجنبية :كشفت الدراسة عن ثروة وثائقية هائلة تختزنها مراكز الأرشيف الفرنسي والإسباني والبرتغالي، وأن استثمار هذه الأرشيفات يُعدّ اليوم ضرورة منهجية لا تحمل لها بديل في دراسة تاريخ المنطقة العربية في العهدين الحديث والمعاصر.

■على صعيد مصادر الرحالة والقناصل والأسرى :تبيّن أن هذه الكتابات تنطوي على معلومات تفصيلية نادرة عن أحوال المجتمعات العربية قبل الاستعمار وفي أثنائه، رغم ما يعتريها من أحكام مسبقة وانحيازات ثقافية تستوجب التمحيص.

■على صعيد الصحافة والدوريات الأجنبية :أبرزت المطبوعة القيمة التاريخية لهذه المصادر الدورية كمرآة عاكسة للموقف الغربي من الأحداث العربية الكبرى، مع التنبيه إلى ضرورة مقاربتها بأدوات النقد الإعلامي والتاريخي معاً.

وخلاصة القول، فإن المصادر الغربية ليست خياراً يمكن إغفاله في البحث التاريخي المعاصر، بل هي شريك لا مناص منه في إعادة بناء الماضي العربي بصورة أكثر شمولاً وعمقاً .غير أن هذه الشراكة تقتضي من الباحث حذراً منهجياً دائماً، وقدرةً على التمييز بين ما هو توثيق أمين وما هو تأويل أيديولوجي مغرض.

ومن هنا تبرز الحاجة الماسّة إلى الجمع بين المصادر الغربية والأرشيفات العربية والمصادر المحلية في منهجية تكاملية متوازنة، تجعل من تعدد زوايا الرؤية قيمةً مضافة في الدراسات التاريخية، بدلاً من أن يُفضي إلى الاختزال أو الانحياز.

ونأمل أن تكون هذه المطبوعة قد أسهمت في تزويد طالب الدراسات العليا بالمفاتيح المنهجية الكفيلة بتحويل هذه المصادر الإشكالية إلى أداة بحثية فاعلة ومنتجة، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :المصادر

أ -المصادر العربية

-ابن رشد :بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت.

-ابن تيمية :مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

-الماوردي :الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت.

-أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية1900-1830 ، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان،.1992

-أبو القاسم سعد الله :أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

-توفيق المدني :كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر.

-جوزيف بتس :رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة، ترجمة، القاهرة،.1995

-ماري إليزابيث هاربت :الجزائر1871 م، ترجمة، باريس،.1872

ب -المصادر المترجمة

-توماس إدوارد لورنس :أسرار لورنس العرب، ترجمة سامي الحجازي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن،.2009

-وليام شالر :مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر1824-1816 ، ترجمة، الجزائر،.1982

-فلاديمير لوتسكي :الحرب الوطنية التحريرية في سوريا1927-1925 ، ترجمة عربية، 1987.

-جيرمان مويط :رحلة الأسير مويط، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط،.1990

-يفغيني بريماكوف :يوميات بريماكوف في حرب الخليج،.1991

-يفغيني بريماكوف :الكواليس السرية للشرق الأوسط،.2016

-جيمي كارتر :فلسطين سلام لا فصل عنصري، دار سايمون آند شوستر، نوفمبر.2006

-هاري فيلبي :قلب جزيرة العرب،1922 ؛ جزيرة العرب في عهد الوهابيين، لندن1928 ؛ المملكة العربية السعودية،.1955

ثانياً :المراجع العربية

-بدوي، عبد الرحمن :موسوعة المستشرقين، دار علم للملايين، ط3، بيروت - لبنان،.1993

-البودي :المرجع في العلاقات الدبلوماسية والقنصلية،.2015

-بن داهة :مراكز الأرشيف الجزائري، الجزائر،.2015

-جهاد سعد :برنارد لويس صهيونية الغرب وتتريك العالم الإسلامي، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت،.2018

-حبوش :نظرة المصادر الأوروبية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني،.2012

-حسام علي محسن المدامغة :لورنس والقضية العربية1935-1888 ، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق،.2005

-حسين محمد شريف :المصادر الغربية، تخصص أولى ماستر تاريخ الوطن العربي المعاصر،) د.ت.(

-ربيع :العلاقات القنصلية في القانون الدولي،.2018-2017

-رباطي، سماح :الجزائر في الرحلات الإنجليزية(1900-1830) ، مذكرة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي،.2020-2019

-الصباغ :دراسات في التاريخ والحضارة،.1989

-سعدون، محمود :الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان،.2003

-سعيد :دراسات في التاريخ اللبناني،.2008

-عبده :الرحالة الأوروبيون والوطن العربي،.2013

-عمشوش :فيليبي والجزيرة العربية،.2021

-القيم وعزت :دراسات في التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام،2007.

-كامل :قراءة في كتاب فلسطين لا فصل عنصري،2008.

-مازن صلاح مطبقاني :منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1414هـ.

-النور :دراسة نقدية لمذكرات وليام شالر،2021.

-نور الهدى بن عباس :لورنس العرب ودوره في الثورة العربية الكبرى1916-1935 ، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2018-2019.

-يوسف :الأرشيف الجزائري ودلالته التاريخية،1996.

-قحيز، عامر :المؤرخ شارل أندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة قضايا تاريخية، العدد الثاني،2016.

ثالثاً :المراجع الأجنبية

- Charles-André Julien. Histoire de L'Afrique du Nord, Tunisie, Algérie, Maroc. Payot. Paris, 1961.

- Charles-André Julien. Histoire de l'Algérie contemporaine. Tome I : La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871). Paris: PUF, 1964.

- David Fromkin. A Peace to End All Peace. New York: Henry Holt, 1989.

- James Barr. A Line in the Sand: Britain, France and the Struggle that Shaped the Middle East. London: Simon & Schuster, 2011.

- Henry Kissinger. Diplomacy. New York: Simon & Schuster, 1994.

- Henry Kissinger. World Order. New York: Penguin Press, 2014.

- Walid Khalidi. "Plan Dalet: Master Plan for the Conquest of Palestine." Journal of Palestine Studies, vol.18, n°1, 1988.

- Marc Bloch. Apologie pour l'histoire ou Métier d'historien. Armand Colin, Paris, 1952.

- Fernand Braudel. La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II. Armand Colin, Paris, 1966.

- Albert Hourani. "The Arab World and the Wider World." Middle Eastern Studies, vol.1, n°1, 1964.

فهرس المواضيع

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	
مقدمة الكتاب	أ
المحاضرة الأولى :المصادر المتخصصة	
تعريف المصادر	3
المصدر في الاصطلاح النحوي	3
المصدر في الاصطلاح العام	3
المصادر الغربية	3
المصادر المتخصصة	3
أهمية المصادر المتخصصة في كتابة التاريخ	3
نقد الكتابات الغربية المتخصصة	4
نماذج من مؤرخين فرنسيين	4
شارل أندري جوليان	4
شارل روبير أجيرون	6
أندري نوشي	8
نماذج عن مؤرخين روس	10
كوتشكوفسكي	10
فلاديمير لوتسكي	10
أكاديمية العلوم السوفياتية	11
بعض المؤرخين البريطانيين	11
توماس إدوارد لورنس	12

الموضوع	رقم الصفحة
لويس برنارد	13
ماري إليزابيث هاربت	14
المحاضرة الثانية :الاستشراق وكتابة تاريخ الوطن العربي	
مفهوم الاستشراق ـــ المعنى اللغوي والاصطلاحي	16
دوافع الاستشراق ومظاهر نشاطه	17
الدافع الديني	17
الدافع السياسي	18
الدافع الاقتصادي	18
الدافع العلمي	18
مظاهر النشاط الاستشراقي	19
مدارس الاستشراق :الفرنسية، البريطانية، الروسية	19
المحاضرة الثالثة :الوطن العربي من خلال الأرشيف الأجنبي	
الجزائر من خلال الأرشيف الفرنسي	22
أرشيف ما وراء البحار (إكس أن بروفانس)	23
أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (كي دورسي)	24
المغرب الأقصى من خلال الأرشيف الفرنسي	24
مركز أرشيف وزارة الحربية (قصر فانسن)	24
مركز أرشيف وزارة الخارجية (لاكرنوف)	25
المركز الأرشيفي الدبلوماسي في نانط	25
الجزائر من خلال الأرشيف الإسباني	25
أرشيف سيمانكس	26
الأرشيف التاريخي الوطني	26
أرشيف وزارة الخارجية مدريد	27
الأرشيف البرتغالي في كتابة تاريخ المغرب	27
المحاضرة الرابعة :الرحلة الغربية ودورها في كتابة تاريخ الوطن العربي	
تعريف الرحلة اصطلاحاً ومفهوم أدب الرحلة	28

الموضوع	رقم الصفحة
دوافع وأهداف الرحالة (دينية، اقتصادية، علمية، سياسية)	28
المحاضرة الخامسة :كتب القناصل	
تعريف القنصل	33
مذكرات وليام شالر ـــ قنصل أمريكا في الجزائر	34
مذكرات جيمس ليندر كاثكارت	37
مذكرات لوران دارفيو ـــ قنصل فرنسا في حلب	39
مذكرات القنصل هنري غيز في لبنان	40
مذكرات القنصل بينو دي ميليه في مصر	40
المحاضرة السادسة :كتب الأسرى	
تعريف الأسر ـــ لغةً واصطلاحاً	41
فراي دياغو دي هايدو (الجزائر)	42
مذكرات تيدنا (الجزائر)	43
جوهان وايلد في مكة والمدينة	44
رحلة جوزيف بتس ـــ الحاج يوسف	44
جيرمان مويط (المغرب)	46
المحاضرة السابعة :كتب الساسة	
هاري سانت جون فيلبي (الجزيرة العربية)	46
يفغيني بريماكوف (الشرق الأوسط)	48
جيمي كارتر ـــ فلسطين :لا فصل عنصري	51
هنري كيسنجر ـــ مذكرات وكتابات	52
المحاضرة الثامنة :الصحف والدوريات الأجنبية	
تعريف الصحافة والدوريات وقيمتها التاريخية	54
الصحافة الفرنسية والوطن العربي (لو موند، لو فيغارو...)	55
الصحافة البريطانية والوطن العربي (التايمز، الغارديان..)	57
الصحافة الأمريكية والوطن العربي NYT، (واشنطن بوست...)	59
الدوريات المتخصصة في الشأن العربي	62

الموضوع	رقم الصفحة
الخاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	